ضمير الغائب

في

القرآن الكريم

دراسة:

نحوية ، تحليلية، أسلوبية

ضمير الغائب في القرآن الكريم

دراسة : نحوية ، تحليلية، أسلوبية.

إعداد

عاطف عبد المجيد عبد النبي أبو جاجة.

المشرف

الدكتور: عبد القادر عبد الرحمن السعدي

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د.	.....
د. عبد القادر عبد الجليل	.....
د. كمال جبري عمري	.....
د. عبد القادر السعدي	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي باجازتها بتاريخ:

الإهـــــداء

إلى والدي العزيز الذي قدّم الكثيـــــر.

إلى أمي الحنون صاحبة القلب الكبيـــــر.

إلى زوجتي الغالية التي تقاسمني أعباء الحياة.

إلى أشقائي الذين وقفوا إلى جانبـــــي.

إلى أبنائـــي ، وقرة عينـــــــــــي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الرسالـــــــة.

الشكـــر

بعـد أن مـن الله سـبحانه وتعـالى علـى بإتمـام هـذه الرسـالة فـإنني أتقـدم بجزيـل الشكـر وخـالص الاحـترام والتقديـر إلى أسـتاذي الفـاضل الدكتـور عبـد القـادر عبـد الرحمـن السـعدي الـذي أشـرف علـى هـذه الرسـالة، فكـان لتوجيهاتـه وإرشاداتـه القيمـة أكـبر الأثـر في إعـداد الرسـالة وإثرائـها.

كمـا أتقـدم بـالشكر الجزيـل إلى أسـرة كليـة الآداب في جامعـة آل البيـت وأسـاتذتها الأفـاضل لمـا قدمـوه مـن عـون ومسـاعدة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
عنوان الرسالة	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
الملخص باللغة العربية:	و
المقدمة:	ح
الفصل الأول (الدراسة النحوية لضمير الغائب):.....	٢
١- صيغ ضمير الغائب وأحواله.	٣
- مفهوم الضمير لغة وصطلاحاً	٤
- استعمالات ضمير الغائب.....	٦
- شروط ضمير الغائب.	٨
- صيغ ضمير الغائب	١٠
- ضمير الفصل.	١٤
- ضمير الشأن.	٢٠
٢- هيئة ضمير الغائب وموقعة الاعرابي.	٢٥
- هيئة هاء الغائب وحركتها	٢٦
- الموقع الاعرابي لضمير الغائب	٣٣
- أحكام عطف الضمير	٣٦
الفصل الثاني: (الدراسة الأسلوبية لضمير الغائب).....	٤٠
١- عود ضمير الغائب.	٤٠
- التمهيد.	٤١
- وسائل معرفة عود الضمير	٤٣
- عود ضمير الغائب على الأقرب:	٤٥

- عوده على المفهوم (غير مذكور): ٤٧
- من خلال السياق ٤٨
- من خلال الآيات السابقة واللاحقة. ٥٠
- عود ضمير الغائب على المحدث عنه ٥٢
- عوده على المصدر..... ٥٤
- عوده على المضاف..... ٥٥
- تعدد مرجع ضمير الغائب..... ٥٧
- تطابق الضمائر في عودها:..... ٦٠
٢- أسلوبا الالتفات والتوجيه في ضمير الغائب:..... ٦٢
- الالتفات:..... ٦٣
- التوجيه..... ٦٨
الفصل الثالث: (الدراسة التحليلية لضمير الغائب) : ٧٠
أ - التمهيد:..... ٧٢
ب- تقديمه وتأخيره:..... ٧٤
ج- ذكره وحذفه:..... ٧٩
د- تذكيره وتأنيثه:..... ٨١
هـ- توكيده والتوكيد به:..... ٨٤
و- وضع الظاهر موضع المضمر والمضمر موضع الظاهر:..... ٨٦
قائمة المصادر والمراجع:..... ٩٠
فهرس الشواهد الشعرية:..... ٩٦
ملخص باللغة الإنجليزية:..... ٩٧

الملخص باللغة العربية

يتناول هذا البحث ضمير الغائب في القرآن الكريم وأثره في تحديد المعنى وأهميته في الدراسات اللغوية من حيث الشكل والتركيب والمدلول والمضمون، إذ له مدلولاته الخاصة وأبعاده الخفية.

وقد كَثُر هذا الأسلوب في القرآن الكريم لا سيما عوده على المصدر الذي يدل عليه الفعل أو الوصف، وعوده على الأقرب، وعوده على المفهوم، وتعدد مرجعه وغيرها... ولهذا وجدت أهمية لدراسة هذا الموضوع في لغة القرآن الكريم، فيه يُفهم القرآن بلاغياً ويدرك ما فيه من روعة بيان وحُسْن تأليف وبراعة تركيب.

وقد تناولت في هذه الرسالة موضوع ضمير الغائب من الجوانب: النحوية، والتحليلية والأسلوبية، موزعة على فصول الرسالة الثلاثة:-

ففي الفصل الأول: تحدثت عن الضمير من حيث: مفهومه، فوائده، شروطه، صيغه، كما تناولت فيه ضميري الفصل والشأن، وتحدثت فيه عن هيئة هاء الغائب وحركتها، كما تحدثت عن الموقع الإعرابي لضمير الغائب وموضوع العطف على الضمير.

وفي الفصل الثاني: تحدثتُ عن عود ضمير الغائب من خلال القرائن الدالة عليه، ومن خلال أسباب النزول، كما تحدثت عن أسلوبي الالتفات والتوجيه في ضمير الغائب ودورهما في تحديد المعنى وتطرية الكلام وتنويعه.

وفي الفصل الثالث: تحدثتُ عن ضمير الغائب من حيث: تقديمه وتأخيره، ذكره وحذفه، تذكيره وتأنيثه، توكيده والتوكيد به، ووضع الظاهر موضع المضمر والمضمر موضع الظاهر.

وقد سلكت في هذا البحث سبيل الدراسة التحليلية والموازنة مستعيناً بكم كبير من كتب اللغة والنحو، وكتب المعاجم وكتب التفاسير المتعددة قديمها وحديثها، وذلك لتحديد القضايا المتعلقة بضمير الغائب وتوضيحها. وكنت اجتهد في إعطاء رأيي في المسائل المختلف فيها وترجيح بعضها على بعض.

آملاً أن أكون قد وفّقت من خلال هذه الدراسة المتواضعة في إيصال المعلومة المفيدة لكل من يهمه أمر هذا الموضوع.

وما توفيقي إلاّ بالله العلي العظيم.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، أنزل الكتاب بالحق، لا يأتيه الباطل مـــن بيـــن يديـــه ولا مـــن خلفه، والصلاة والسلام على المبعوث بمعجـــزة القـــرآن رحمـــة للعـــالمين، بلّـــغ الرســـالة وأدّى الأمانة، وترك الناس على المحجة البيضاء بنـــور الفرقـــان، وعلـــى آلـــه وأصحابـــه أجمعين، وبعد:

فقد كان من نِعَم الله عليَّ أن درست فـــي جامعـــة آل البيـــت وكـــان تخصصـــي فـــي لغة القرآن الكريم الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلـــه لـــم يســـتطيعوا ولـــم يقاربوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وذلك لسحر بيانه وروعـــة معانيـــه ودقـــه ائتـــلاف ألفاظه ومبانيه، ومن أجل ذلك عَنيَ المسلمون به، عناية كـــبرى شملـــت نواحيـــه المختلفـــة وأحاطت بكل ما يتصل به لأنه رائد منهجٍ قويم وبـــاعث نهضـــة علميـــة.

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع أنني لم أجد كتابـــاً مخطوطـــاً أو مطبوعـــاً بـــهذا العنوان، كما أنَّ الحديث عن عود ضمير الغائب في كتـــب التفسـير وكتـــب النحـــو وكتـــب إعراب القرآن متفـــرق، فـــأردت أن اجمـــع الآيـــات التـــي وردت فيـــها ضمـــائر غـــائب وأوضّح مرجعها واقسّمها حســـب عودهـــا ليســـهل الرجـــوع إليـــها. وكنـــت مـــن خـــلال عرضي لآراء المفسرين والنحاة في عود ضمير الغائب أجتهدُ لأرجـــح رأيـــاً علـــى آخـــر من خلال الآيات المحيطة أو من خلال أسباب النزول وغيرهـــا مـــن القرائـــن الدّالـــة.

وقد كان منهجي في هذا البحث قائماً على تســـجيل الآيـــات التـــي وردَ فيـــها ضمـــير الغائب على سبيل المثال، وكنت أتناولها بشيء مـــن التحليـــل والمناقشـــة مـــع ذكـــر الآراء المختلفة محاولاً ترجيح بعضها على بعض، وقد قسّمتُ هـــذه الآيـــات إلـــى عنـــاوين وفـــق فصول الرسالة على النحو التـــالي:

الفصل الأول: فقد درست فيه ضمير الغائب دراسة نحوية، وجعلته في مبحثين: أحدهما صيغ ضمير الغائب، تناولت فيه مفهوم الضمير لغة واصطلاحا، فائدة ضمير الغائب وشروطه، صيغ ضمير الغائب من حيث الإفراد والتثنية الجمع والتذكير والتأنيث، كما تناولت فيه ضميري الفصل والشأن. والآخر: هيئته وموقعه الإعرابي، فقد تحدثت فيه عن هيئة هاء الغائب وحركتها، كما تحدثت عن الموقع الإعرابي لضمير الغائب ومسألة العطف على الضمير.

الفصل الثاني: فقد درست فيه ضمير الغائب دراسة أسلوبية، وجعلته في مبحثين: أحدهما أسلوب عود الضمير وتناولت فيه: طرائق معرفة عود الضمير وعوده على الأقرب، وعلى المفهوم، وعلى المحدث عنه وعلى المصدر، وعلى المضاف، وتعدد مرجع ضمير الغائب، وتطابق الضمائر في عودها، وثانيهما: عن أسلوبي الالتفات والتوجيه في ضمير الغائب.

الفصل الثالث: فقد درست فيه ضمير الغائب دراسة تحليلية، وتشمل: تقديم الضمير وتأخيره، وذكره وحذفه، وتذكيره وتأنيثه، وتوكيده والتوكيد به، ووضع الظاهر موضع المضمر ووضع المضمر موضع الظاهر.

وتطلب مني هذا البحث أن أقرأ المراجع الكثيرة والمصادر العديدة القديمة والحديثة وأهمها:

أولاً: المصادر النحوية، ولعل أهمها: كتاب سيبويه، وكتب ابن هشام وكتب السيوطي وغيرها...

ثانياً: كتب تفسير القرآن الكريم ومعانيه وإعرابه، وهي كثيرة جداً ومن أهمها: كتاب إعراب القرآن للنحّاس، الكشاف للزمخشري والجامع لأحكام القرآن للقرطبي والبحر المحيط لابي حيان الأندلسي وغيرها.

ثالثاً: كتب المعاجم كلسان العرب والمعجم الوسيط.

رابعاً: كتب علم اللغة الحديث لا سيّما مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ومبادئ علم اللسانيات الحديث لسامي حنا وغيرهما...

ولعل الحديث – في الحقيقة– عن مشاق البحث من الأمور العادية التي تعزى إلى طبيعة البحث وموضوعه، فلا يخفى ما في الدراسة من عناء المشقة وصعوبة الدرس في ظل الخلافات التفسيرية في عود الضمير المتشعبة، والوجوه التحليليه المتنوعة، وعلى الرغم من كل هذا وذاك، فقد تكلّفت هذا العناء وعزمت على إنجاز هذه الدراسة المتواضعة التي كان فيها لأستاذي المشرف الفضل العظيم في إخراجها على هذه الشاكلة، كما لي الشرف الكبير في إشرافه على هذا البحث الذي آمل أن أكون قد جئت فيه بما يخدم القرآن الكريم ويساهم في دعم الجهود اللغوية الحديثة للغة القرآن الكريم وكل هذا في ضوء إرشادات أستاذي الجليل الذي أشكر له تواضعه وصبره الجميل ورعايته لهذا الجهد خدمة منه للغة الكتاب، فله من الله تعالى جزاء الحسنى.

الباحث

الفصل الأول

الفصل الأول

الدراسة النحوية لضمير الغائب

وتشمل:

١- صيغ ضمير الغائب وأحواله.

٢- هيئة ضمير الغائب وموقعه الإعرابي.

الفصل الأول

١- صيغ ضمير الغائب وأحواله

أ- مفهوم الضمير لغة واصطلاحاً.

ب- استعمالات ضميز الغائب.

ج- شروط ضمير الغائب

د- صيغ ضمير الغائب (المذكر والمؤنث)، المفرد، المثنى، الجمع.

ه- ضمير الفصل.

و- ضمير الشأن.

أ- مفهوم الضمير[١] لغة واصطلاحاً

١- مفهومه لغة:

من خلال استعراضنا لمعاجم اللغة وكتب النحو، وجدنا ان الأصول الثلاثية لهذه الكلمة (ض، م، ر) تدور حول معنى الهزال والضعف[٢] أو الخفاء والستر.

وقد وردت لفظة: الضمر، وتعني: الهزال ولحاق البطن. وفي الحديث[٣] إذا أبصر أحدكم امرأة، فليأت أهله فإن ذلك يضمر ما في نفسه أي يضعفه ويقلله من الضمور وهو الهزال والضعف.

والضمير السر وداخل الخاطر، والضمر: العنب الذابل والضمير: ما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه.

و(الضمار: هو المال الغائب الذي لا يرجى، وكل شيء غاب عنك فلا تكون منه على ثقة فهو ضمار)[٤]. ومن هذا الباب أضمرت في ضميري شيئا لأنه يغيبه في قلبه وصدره.

والمضمار: هو الموضع الذي تضمر فيه الخيل وتشد سروجها، والضمر تعني الضيق، والإضمار تعني الاستقصاء.

٢- مفهوم الضمير اصطلاحا:

الضمير لفظ جامد افهم غائبا أو حاضرا وضعا[٥]، وهو اسم يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، ومنها ما يكون للرفع ومنها ما يكون للنصب أو الجر[٦].

فالمتكلم : أنا، تاء المتكلم، وياؤه ونحن ونا التي لمثنى المتكلم وجمعه.

---

[١] الضمير ومن أسمائه: المضمر، الكناية، المكنى.
[٢] ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج٤، ص ٤٩١ وما بعدها. الزاوي، الظاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، ج٣، ص٣٦. عيد، محمد، النحو المصفى، ص ١٣٥. أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٤٣ وما بعدها.
[٣] ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج٤، ص ٤٩١.
[٤] أبو الحسن، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص ٣٧١.
[٥] السيوطي، جلال الدين، الفرائد الجديدة، تحقيق الشيخ عبد الكريم المدرس، ص ١٣١.
[٦] السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ص ١٩٤.

والمخاطب : أنت، أنتما، أنتم، أنتِ، أنتما، أنتنّ، وكاف الخطاب.
والغائب : هو، هما، هم، هي، هنّ، وهاء ضمير الغائب.

فضمير الرفع هو ما يكون موقعه في الجملة موقع الكلمة المرفوعة كأن يقع موقع المبتدأ أو الفاعل أو نائب الفاعل، وقد يأتي هذا الضمير متصلاً بكلمة أخرى فيسمى الضمير المتصل وقد يأتي منفصلاً ومستقلاً بذاته ويسمى الضمير المنفصل.
ويؤتى بالضمير كناية عن الاسم الظاهر فيسميه الكوفيون الكناية والمكنىّ[١] ويسميه البصريون الضمير أو المضمر.

ويرى ابن هشام[٢] أنّ النحاة قد راعوا الجانب اللغوي في إطلاق هذا اللفظ على بعض كلمات اللغة لأنّ بعض الضمائر قليل الحروف مثل: التاء في (صاحبتُ)، وبعضها الآخر مستتر كقولنا: (لا تأسف فاليُسْرُ يعقب العُسر).

ويعرف الضمير في اللغة الإنجليزية: (كلمة تحل محل اسم لتشير إلى شخص أو شيء سابق ذكره أو عُرف من سياق الكلام)[٣].

ومن خلال استعراضنا لتعريف الضمير باللغة العربية والإنجليزية نجد أنّ التعريف بالعربية أعم وأشمل وفيه مرونة أكثر فلكل من ضمير المفرد والمثنى والجمع للمذكر والمؤنث ضمير خاص به في دلالاته الثلاث: المتكلم، المخاطب، الغائب[٤]. كما لا ننسى الضمير المستتر الذي يُضمر لأغراض بلاغية نذكرها لاحقاً، بينما الضمائر في الإنجليزية[٥] أقل مرونة وكثيراً ما يحدّد الضمير من خلال فهم معنى العبارة.

والذي يجمع بين التعريفين هو إحلال الضمير مكان الكلمات، تجنباً للتكرار، ودفعاً للسأم، وبذا تصبح العبارة أقوى إحكاماً وأبلغ نظماً.

---

[١] لأنه يكنّى به أي يرمز به عن الظاهر اختصاراً لأن اللبس مأمون.
[٢] عيد، محمد، النحو المصفي، ص ١٣٥.
[٣] جبر، محمد، الضمائر في اللغة العربية، ص ١٤.
[٤] ضمائر التكلم: أنا، نحن. ضمائر الخطاب: أنت، أنتما، أنتم، أنت، أنتما، أنتنّ. ضمائر الغياب: هو، هما، هم، هي، هما، هنّ.
[٥] I, YOU, WE, HE, SHE, IT, THEY.

ب- استعمالات ضمير الغائب

أولا: الاختصار وعدم التكرار.

فائدة الضمائر بشكل عام الاختصار، إذ أن الضمير يغني عن ذكر الأسماء الظاهرة ويحل محلها مع سلامة المعنى وعدم التكرار، فقدر قام في قوله تعالى: ((**أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**))[١]. مقام عشرين كلمة[٢] قد ذكرت في نفس الآية السابقة وهي: ((**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**)).

ثانيا: التعظيم للشيء:

كقوله تعالى: ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**))[٣]. فالهاء في (أنزلناه) تعود على القرآن بإجماع جمهور العلماء والمفسرين على الرغم من عدم تقدم ذكره "وهذا فيه تعظيم للقرآن"[٤].

ويقول الزمخشري[٥]: "جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه".

ثالثا: المبالغة:

نحو قوله تعالى:((**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف**))[٦].

في هذه الآية التفات من المخاطب (كنتم) إلى الغائب (بهم) وفائدته المبالغة[٧] كأنه يذكر لغيرهم حاله ليعجبهم منها ويستدعي منها الإنكار والتقبيح.

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مدنية، آية رقم ٣٥.
[٢] القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص ٧٢.
[٣] القرآن الكريم، سورة القدر، مكية، آية رقم ١.
[٤] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد ١٠، ج٣، ص ٢٤١.
[٥] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٤، ص ٢٧٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ٢٢.
[٧] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٦، ص ١٧١.

رابعا: التنبيه والإيقاظ:

نحو قوله تعالى: ((وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة...))[١]

فالالتفات في هذه الآية (ويرسل عليكم) والأصل (عليهم) وفائدته: التنبيه والإيقاظ [٢].

خامسا: التعريض بالشيء[٣]:

كما في قوله تعالى: ((ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم))[٤].

الخطاب في (لكم) راجع إليهم أيضا فيكون على هذا التفاتا فائدته التعريض بقلة تمكن هؤلاء ونقص أحوالهم عن حال أولئك ومع تمكينهم وكثرتهم فقد حل بهم الهلاك، فكيف وأنتم أقل منهم تمكينا وعددا.

سادسا: الشكر والثناء على الله:

نحو قوله تعالى: ((قل هو الله أحد))[٥].

يقول ابن خالويه: "لم ابتدأت بالمكنى (هو) ولم يتقدم ذكره؟ فقل لأن هذه السورة ثناء على الله تعالى وهي خالصة له، فليس فيها شيء من ذكر الدنيا "ونزلت جوابا لقوم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا عن الله تعالى أمن ذهب هو أم فضة أم مسك؟ فنزلت هذه الآية أي واحد"[٦].

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٦١.

[٢] الزركشي، البرهان، ج٣، ص ٣٢٢.

[٣] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٤، ص ٥٣٨.

[٤] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٦.

[٥] القرآن الكريم، سورة الإخلاص، مكية، آية رقم ١.

[٦] ابن خالويه، الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص ٢٢٨.

ج- شروط ضمير الغائب

١- أن يتقدم مرجعه لفظا[١] وهو الأصل نحو قوله تعالى: ((ونادى نـوح ابنـه))[٢]. أو تقـدم معنـاه، بأن يوجد ما يدل عليه كالحس، نحو قوله تعالى: ((يا أبت اسـتأجره))[٣] ونحـو قولـه تعالى: "قال هي راودتني عن نفسي"[٤]، إذ لم يتقدم التصريـح بلفـظ (زليخـا[٥]، يوسف) لكونهما كانا حاضرين.

٢- أن يعود على مذكور في سياق الكلام، مؤخر في اللفظ، مقدم في النية[٦]، كقوله تعالـى: ((فأوجس في نفسه خيفة))[٧]، ونحو قوله تعالى: ((ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون))[٨]، وقولـه تعالى: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان"[٩]

٣- أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمن[١٠]، كقوله تعـالى: ((اعدلـوا هـو أقـرب للتقوى))[١١] فإنه عائد على العدل المفهوم ضمنا اعدلوا، ونحو قوله تعالى: ((ولا تـأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق))[١٢] فالضمير يرجع على الأكل لدلالة (تأكلوا).

٤- أن يدل عليه بالالتزام[١٣] كإضمار النفس في قوله تعالى: ((فلولا إذا بلغت الحلقوم))[١٤] وقوله تعالى: ((كلا إذا بلغت التراقي))[١٥]، اضمر النفس لدلالة ذكـر الحلقـوم والـتراقي عليها. وقوله تعالى: ((حتى توارت بالحجاب))[١٦] يعني الشمس.

---

[١] ابن هشام، عبدالله، شذور الذهب، ص ١٣٦. السيوطي، جلال الدين، الفرائد الجديدة، ص ١٤١.
[٢] القرآن الكريم، سورة هود، مكية، آية رقم ٤٢.
[٣] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ٢٦.
[٤] القرآن الكريم، سورة يوسف، مكية، آية رقم ٢٦.
[٥] امرأة العزيز.
[٦] ابن هشام، عبدالله، شذور الذهب، ص ١٣٦. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص٢٥.
[٧] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ٦٧.
[٨] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ٧٨.
[٩] القرآن الكريم، سورة الرحمن، مدنية، آية رقم ٣٩.
[١٠] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص ٢٦.
[١١] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٨.
[١٢] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٢١.
[١٣] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص ٢٦.
[١٤] القرآن الكريم، سورة الواقعة، مكية، آية رقم٨٣.
[١٥] القرآن الكريم، سورة القيامة، مكية، آية رقم ٢٦.
[١٦] القرآن الكريم، سورة ص، مكية، آية رقم ٣٢.

٥- ذكر جزئه[١]، كما في قوله تعالى: ((**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها**))[٢]. الضمير المنصوب في ينفقونها عائد على الذهب لأن تأنيثه أشهر. أو على الفضة أو على المكنوزات؛ لدلالة يكنزون، وهو الأرجح لأنه أعم وأشمل.

---

[١] السيوطي، جلال الدين، الفرائد الجديدة، ص ١٤١ وما بعدها.
[٢] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٣٤.

د- صيغ ضمير الغائب

ضمير الغائب كغيره من الضمائر: المتكلم والمخاطب، له تفرعات عديدة تستخدم على نطاق واسع في درج الكلام، ولو حاولنا تتبع صيغه ودلالاته لوجدنا أنه يستخدم للمذكر والمؤنث وللمفرد والمثنى والجمع.

والذي يميز ضمير الغائب عن غيره من الضمائر أنّ صيغه وإن تطابق العدد والجنس في استخدامهما فإننا نجده يأتي مفرداً ويراد به المثنى أو الجمع، وقد يأتي مثنىً ويراد به الجمع وقد يأتي جمعاً ويراد به الواحد، وكل هذا له أسباب بلاغية ودوافع تحدد من خلال السياق، ولعل أدق شاهد على ذلك وجود هذه الصيغ في القرآن الكريم.

وقد يأتي ضمير الغائب مؤنثاً ويراد به مذكراً كقوله تعالى: ((**وإنْ جنحوا للسّلم فاجنح لها وتوكّل على الله إنّه هو السميع العليم**))[١].

الهاء في (لها) عائدة على السّلم وبعضهم[٢] يقول إنّ كلمة السّلم أصلاً مؤنثة ويضيف قائلاً إنه يجوز أن يكون التأنيث للفعلة والجنوح والميل.

- قوله تعالى: ((**فلما وضعتْها قالت رب إني وضعتُها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى**))[٣].

الهاء في (وضعتها) عائدة لما (في بطني). "ولما علِم المتكلم أنّ مدلولها مؤنث جاز له تأنيثَ العائد إليه وإن كان اللفظ مذكراً. وأما التأنيث في قوله ((**قالت رب إني وضعتها أنثى**)) فليس باعتبار العلم بل باعتبار أنّ كل ضمير وقع بين مذكر ومؤنث هما عبارتان عن مدلول واحد جاز فيه التذكير والتأنيث"[٤].

ويقول الزمخشري في هذه الآية "وإنما أنثتْ على المعنى لأنّ ما في بطنها كان أنثى في علم الله"[٥].

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الأنفال، مدنية، آية رقم ٦١.**
[٢] **القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٣٩.**
[٣] **القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدنية، آية رقم ٣٦.**
[٤] **الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد١، ج٣، ص ١٣٤.**
[٥] **الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٤٢٥.**

وقد يأتي الضمير مذكرا ويعود على مؤنث، كقوله تعالى: ((**إذ قالت الملائكة يـــا مريـــم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين**))[١].

الضمير المذكر في (اسمه)عائد على الكلمة[٢] وجيء بالضمير مذكرا وإن كان عائدا على الكلمـــة مراعاة للمعنى إذ المراد بها مذكر.

وقوله تعالى: ((**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت مـــن ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**))[٣].

الهاء في كل من (ظهورها، أبوابها) للبيوت[٤]، وجيء به كضمير المؤنثة الواحدة لأنه يجوز فيـــه ذلك.

وقوله تعالى: ((**فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه**))[٥].

عود الضمير المنصوب في (استخرجها) فيه قولان[٦]: الأول أنه عائد على الصواع وأنا أميل إلى هذا الرأي لأن كلمة الصواع فيه التذكير والتأنيث، والثاني عوده على السرقة وفيـــه نظـــر لأن السرقة لا تستنبط من الآية إلا بمجاز.

وقد يأتي ضمير الغائب مفردا ولكنه لا يعود على مفرد وإنما يعود على المثنى أو الجمـــع وذلك لأسباب بلاغية ترد في السياق.

فقد يرد ضمير الغائب مفردا ويعود على مثنى نحو: ((**والذين يكـــنزون الذهـــب والفضـــة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**))[٧].

الهاء في ينفقونها تعود على الذهب والفضة ولم يرد في قوله تعالى ينفقونها.

وقد يعود ضمير الغائب المفرد على الجمع نحو:

وقوله تعالى: ((**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**))[٨].

---

[١] القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدينة، آية رقم ٤٥.
[٢] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٣، ص ١٧٥.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٨٩.
[٤] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٢، ص ٣٠٥.
[٥] القرآن الكريم، سورة يوسف، مكية، آية رقم ٧٦.
[٦] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٦، ص ٥٣٣.
[٧] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٣٤.
[٨] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ٦٦.

اختلف المفسرون في عود الضمير من كلمة (بطونه) فقيل[١]: هو عائد على ما قبله وهو جمع المؤنث. ومنهم من قال: العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحدة، وقيل لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكّر ويؤنّث فيقال: (هو الأنعام)، (هي الأنعام) جاز عود الضمير بالتذكير. وتجد عند أبي حيان رأياً مختلفاً بعض الشيء حيث يقول: (ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة لأن التأنيث والتذكير باعتبار وجهين، وأعاد الضمير مذكراً مراعاة للجنس لأنه إذا صحّ وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكراً كقولهم: هو أحسن الفتيان وأنبله لأنه يصحّ هو أحسن فتى"[٢] وهذا لا يُقاس عند سيبويه إنما يقتصر على ما قالته العرب.
وقال الكسائي[٣]: "مما في بطونه" أي مما في بطون بعضه إذ الذكور لا ألبان لها. فكأن العبرة إنما هي في بعض الأنعام.

وقال الفرّاء[٤]: الأنعام والنَّعَم واحد والنعم يذكّر ولهذا تقول العرب (هذا نِعم وارد) فرجّع الضمير إلى لفظ النعم الذي هو بمعنى الأنعام وأنا أتفق مع رأي سيبويه بأن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحدة فقد ذكر ذلك في باب ما لا يتصرف في الأسماء الواردة على أفعال كقولهم ثوب، أكباش، لذلك رجع الضمير إليها مفرداً.

وقد يعود ضمير الجمع على مفرد كما في قوله تعالى: ((**فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان، فبأي آلاء ربكما تكذبان**))[٥].

فقال (فيهنّ) ولم يقل (فيهما) بالرغم من أنّ الضمير :يعود على الجنتين"[٦]، فقد أعاد الضمير إليهما مجموعاً مراعاة للمعنى إذ لكل فرد جنتان فتكون جنان[٧]، أو لأن كل مكان فيهما جنة فيكون الحاصل جمع، وقيل يعود الضمير على الفرش التي بطائنها من استبرق، وعودها على الجنتين أقرب لأنهما المتحدث عنهما في الآية الكريمة.

---

[١] **القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ١٢٣ وما بعدها.**
[٢] **أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٦، ص ٥٥٤.**
[٣] **القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ١٢٤.**
[٤] **المرجع نفسه، ص ١٢٤.**
[٥] **القرآن الكريم، سورة الرحمن، مدنية، آية رقم ٥٧.**
[٦] **القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص ١٨٠.**
[٧] **أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٨، ص ١٨٥.** أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١٠، ص ٦٩.

وقد يستعمل ضمير الغائب جمعاً دالاً على اثنين كقوله تعالى: ((**قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشاهدين**))[١]

ضمير الجمع في (فطرهنّ) فيه قولان: أحدهما عوده على "السموات والأرض"[٢] وهو الأقرب والمحدث عنه. والآخر عوده على التماثيل في قوله تعالى: "إذ قال لأبيه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"[٣]، والأول أرجح كما أسلفت ويؤكد ذلك ما قاله أبو السعود: "وضمير (هنّ) للسموات والأرض وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهنّ تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أنّ ما لا يكون كذلك فإنه بمعزل من الربوبية، أي أنشأهنّ بما فيهنّ من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم"[٤].

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، آية رقم ٥٦.
[٢] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص ٧٣.
[٣] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية رقم ٥٢.
[٤] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص ٧٣.

هـ- ضمير الفصل

مفهومه:

وهو ضمير يفصل المبتدأ عن الخبر وهذا له أثر كبير في توجيه المعاني، وهو ضمير لا محل له من الإعراب ويأتي بين كل متلازمين مثل: المبتدأ والخبر أو المفعول به الأول والمفعول به الثاني، ويؤتى به لتقوية مضمون الجملة.

وقد عرّفه ابن يعيش بأنه "ضمير يتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعاً له في امتناع دخول حرف التعريف عليه كأفعل من كذا أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت وليفيد ضرباً من التوكيد"[١].

- وعرفه السيوطي بأنه "ضمير رفع منفصل يقع مطابقاً لمعرفة قبل المبتدأ أو منسوخ بعد معرفة.

"ويعرفه عضيمة بأنه "لفظ على صيغة الضمير المرفوع المنفصل يطابق ما قبله في التكلم والخطاب والغيبة، يقع بين المبتدأ والخبر بشرط أن يكونا معرفتين أو يكون الخبر يشبه المعرفة"[٢]. والضمائر المنفصلة في لغتنا العربية هي:

هو، هما، هم، هي، هما، هنّ، أنتَ، أنتما، أنتم، أنتِ، أنتما، أنتنّ، أنا، نحن.

وقد ورد ضمير الفصل في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ((**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**))[٣].

وقوله تعالى: ((**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلا وكنّا نحن الوارثين**))[٤].

---

[١] ابن يعيش، موفق، شرح المفصّل، ج٣، ص ١٠٩، ١١٠.
[٢] عضيمة، محمد، دراسات لأسلوب القرآن، القسم الثالث، ج١، ص ٢٤.
[٣] القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ١٥٧.
[٤] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ٥٨.

مدلول ضمير الفصل ومعانيه

ويسميه البصريون[١] ضمير الفصل لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر وقيل لأنه يفصل بين الخبر والنعت، وقيل بين الخبر والتابع لأنّ الفصل به يوضح كون الثاني خبراً لا تابعاً.

ويسميه الكوفيون عماداً يعتمد عليه في الفائدة؛ إذ به يتبين أنّ الثاني خبر لا تابع و بعضهم يسميه دعامة لأنه يدعم به الكلام ويقوى به، وبعض المتقدمين سماه صفة، قال أبو حيان: ويعني به التأكيد، ولا يقع إلاّ بعد معرفة: مبتدأ أو منسوخ نحو:

- قوله تعالى: ((فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد))[٢]
فضمير الفصل (أنت) جاء بعد معرفة وهو التاء في الفعل الناسخ (كنت).

والركن الأول الذي يسبق ضمير الفصل قد يكون اسماً ظاهراً وقد يكون ضميراً نحو قوله تعالى: "وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين"[٣].

ويجوز أن يقترن ضمير الفصل بلام الابتداء نحو قوله تعالى: ((*وإنا لنحن الصافّون*))[٤].

---

[١] السيوطي، جلال الدين، المطالع السعيدة في شرح الفريدة، ص ٢١٣.
[٢] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ١١٧.
[٣] القرآن الكريم، سورة الزخرف، مكية، آية رقم ٧٦.
[٤] القرآن الكريم، سورة الصافات، مكية، آية رقم ١٦٥.

دور ضمير الفصل في توجيه المعنى وفائدته

١- ذهب البصريون إلى أنّ ضمير الفصل يفصل بين النعت والخبر "إذا كان الخبر مضارعاً لنعت الاسم ليخرج معنى النعت نحو: "والله هو السميع العليم"[١].

٢- ويرى الكوفيون أنه يأتي تأكيداً لما قبله حيث إنك حين تقول: (جاءني زيدٌ نفسه) كان (نفسه) تابعاً لزيد في إعرابه تماماً كما تقول: (زيدٌ هو العامل) أو قوله عز وجل "الله هو السميع العليم".

وقد أكدّ الزمخشري رأي الكوفيين في مجيئه للتوكيد حين تحدث في قوله تعالى:

"وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم"[٢].

إذ قال: (هي) ضمير فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلام، وسيرد تفصيل ذلك في باب توكيد الضمير.

٣- التخصيص[٣]: نحو قوله تعالى: ((ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده))[٤] ومنها تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر نحو قوله تعالى: ((ثم تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التوّاب الرحيم))[٥].

٤- تمييز الخبر عن الصفة. نحو: العالم هو العامل بعلمه.

٥- التذكير على الخبر[٦]، نحو قوله تعالى: ((أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور))[٧].

ونحو قوله تعالى: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى)).[٨]

فيجوز للضمير (هو) أن يكون فصلاً أو مبتدأ وما بعده خبره ولا يجوز أن يكون بدلاً لمجيئه بصيغة الرفع[٩].

---

[١] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٧٦.
[٢] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٤٠.
[٣] الهاشمي، سيد أحمد، جواهر البلاغة، ص ١٦١.
[٤] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، ص ١٠٤.
[٥] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ١١٨.
[٦] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ٧٧.
[٧] القرآن الكريم، سورة الحج، مدنية، آية رقم ٤٦.
[٨] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٢٠.
[٩] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٢، ص ٩٣.

هيئة ضمير الفصل وموضعه[١]

ومن المواضع التي يأتي عليها ضمير الفصل:

١- أن يقع بلفظ المرفوع المنفصل مطابقاً لمعرفة قبله في حضوره وغيبته وتذكيره وتأنيثه وإفراده. نحو قوله تعالى: ((وكلمة الله هي العليا))[٢].

٢- أن يقع متمماً للمبتدأ أو النواسخ، نحو قوله تعالى: ((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة))[٣]، فضمير الفصل جاء باقياً أو متمماً للفعل الماضي الناسخ (كانوا).

٣- أن يقع خبراً معرفة نحو قوله تعالى: ((وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم))[٤].

٤- أن يقع خبراً معرفة في امتناع دخول الألف واللام كأفعل التفضيل نحو قوله تعالى: ((إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك))[٥].

٥- أجاز بعضهم وقوعه بين نكرتين كوقوعه بين معرفتين نحو: (ما أظن أحداً هو خيراً منك)، فضمير الفصل (هو) وقع بين نكرتين هما: أحد وخير.

٦- وربما وقع بين حال وصاحبها نحو قوله تعالى: ((هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم))[٦].

٧- وربما جاء بلفظ الغيبة بعد حاضر نحو:

وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أُصبت هو المصابا[٧]

فضمير الفصل هو يقع بلفظ الغيبة بعد حاضر قائم مقام مضاف غائب والتقدير (أي يرى مصابي هو المصاب) فوقع بعد ضمير الحاضر "فكان حقه في الظاهر أن يقول: (أنا المصاب)

---

[١] السلسبيلي، محمد، شفاء الغليل، ص ٢٠٧.

[٢] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٤٠.

[٣] القرآن الكريم، سورة غافر، مكية، آية رقم ٢١.

[٤] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٤٠.

[٥] القرآن الكريم، سورة الكهف، مكية، آية رقم ٣٩، ٤٠.

[٦] القرآن الكريم، سورة هود، مكية، آية رقم ٧٨.

أطهر: قراءة الحسن، زيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدي ومروان ابن الحكم، أنظر: مكرم، عبدالعال، معجم القراءات القرآنية، ج٣، ص ١٢٦، وإعرابها : حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وصاحب الحال (بناتي)، وفصل ضمير الفصل بينهما.

[٧] البيت من ديوان جرير الخطفي، ص ٢٠ من قصيدة مطلعها:

سئمت من المواصلة العتابا وأمسى الشيب قد ورث الشبابا

لأن ضمير الفصل يجب أن يكون على وفق ما قبله في الغيبة والخطاب والتكلم لأن فيه نوعاً من التأنيث"[١].

٨- لا يتقدم مع الخبر المقدم، خلافاً للكسائي، لأن فائدة الفصل صون الخبر من توهمه تابعاً، فلزم من ذلك الاستغناء عنه إذا قدم الخبر لأن تقدمه يمنع من توهمه تابعاً، فالتابع لا يتقدم على المتبوع.

[١] الشنقيطي، أحمد، الدرر اللوامع، على همع الهوامع، ج١، ص٢٢.

الموقع الإعرابي لضمير الفصل

من خلال تتبع كتب النحو واستطلاع آراء النحاة في مسألة إعراب ضمير الفصل وجدت القائلين باسميته قد اختلفوا: هل له موضع من الإعراب أم لا؟ فذهب البصريون القائلون باسميته ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أنه لا موضع له من الإعراب، وذهب الكسائي إلى أنّ موضعه كموضع ما بعده، ويرى الفرّاء أنّ موضعه كموضع ما قبله.

وضمير الفصل لا محل له من الإعراب على الأصح من أقوال النحاة، وصورته كصورة الضمائر المنفصلة وهو يتصرف بتصرفها بحسب ما هو له إلاّ أنه ليس إياها.

ويقول خليل عمايرة : "وذهب أكثر النحاة إلى أنه حرف، وصححه ابن عصفور، كالكاف في الإشارة، وإذا قلنا باسميته فالصحيح أنه لا محل له من الإعراب، وعليه الخليل، لأن الغرض به الإعلام من أول وهلة يكون الخبر خبراً لا صفة، فاشتد شبهه بالحرف"[١].

إنّ دخوله بين المبتدأ والخبر المنسوخين بكان وظن، وإنّ وأخواتها، تابع لدخوله بينهما قبل النسخ، ولا تأثير له فيما بعده من حيث الإعراب، فما بعده متأثر اعراباً بما يسبقه من العوامل لا به نحو قوله تعالى: ((**فلما توفيتني كنت الرقيب عليهم**)).[٢]

فنلاحظ أنّ إعراب الاسم الذي يلي ضمير الفصل "أنت" يعتمد في إعرابه على ما قبل ضمير الفصل فيكون إعرابه خبر كان منصوباً وعلامة نصبه تنوين الفتح.

- ومثله نحو قوله تعالى: ((**إن كان هذا هو الحق من عندك**))[٣]
- وبعض النحاة يجيزون اعراب ضمير الفصل حسب موقعه كقوله تعالى: ((**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**))[٤]. يقول الألوسي[٥] في اعراب هذه الآية: يحتمل أن يكون فصلاً أو بَدلاً فيكون المفلحون خبراً له عن أولئك أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر.

---

[١] **عمايرة، خليل، آراء في الضمير العائد، ص ٧٤.**

[٢] **القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ١١٧.**

[٣] **القرآن الكريم، سورة الأنفال، مدنية، آية رقم ٣٢. الحق: خبر كان منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح.**

[٤] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٥.**

[٥] **الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، المجلد الأول، ج١، ص١٢٥.**

و- ضمير الشأن[١]

١- **مفهومه:** "وهو ضمير يأتي صدر الجملة الخبرية دالاً على قصد المتكلم استعظام السامع حديثه"[٢] ويقدمون قبل الجملة ضميراً يسمىّ ضمير الشأن والقصة " وهو المجهول عند الكوفيين"[٣] وذلك نحو قولك: " هو زيد منطلق": أي الشأن والحديث زيد منطلق. ومنه قوله تعالى: ((قل هو الله أحَد))[٤]، "قال جماعة البصريين والكسائي من الكوفيين: إن (هو) ضمير الشأن والحديث ، أضمر ولم يتقدمه مذكور، وفسره ما بعده من الجملة، والبصريون لا يجيزون أن يكون خبر ذلك الضمير اسماً مفرداً لأن ذلك الضمير هو ضمير الجملة فينبغي أن يكون الخبر جملة"[٥].

٢- **أسماؤه وتحقيق مدلولاتها:** هذا الضمير يطلق عليه عدة مسميات منها: ضمير الأمر[٦]، وضمير القصة،[٧] وضمير الحكاية[٨] وجميع هذه المسميات تدور حول معنى الحادثة أو الأمر. ولقد سمىّ الفراء[٩] ضمير الشأن عماداً في مواضع كثيرة، وهو ضمير غير شخصي، أي لا يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب وإنما يدل على معنى الشأن أو الأمر أو القصة، ويقع في صدر الجملة ويكون مبتدأ لها، وتكون هذه الجملة مفسرة له وتقع خبراً عنه.

لقد قدّر النحاة من معنى الجملة اسماً جعلوا ذلك الضمير يفسره ذلك الاسم المقدّر[١٠] حيث يصح الإخبار بتلك الجملة[١١] من الضمير، ولا يحتاج منها إلى رابط به لأنها نفس المبتدأ في المعنى.

---

[١] يسميه البصريون ضمير الشأن والحديث إذا كان مذكراً، وضمير القصة إذا كان مؤنثاً. ويسمىّ عند الكوفيين ضمير المجهول

[٢] السيوطي، جلال الدين، الفرائد الجديدة، ص ١٤٧.

[٣] ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصّل، ص ١١٤.

[٤] القرآن الكريم، سورة الاخلاص، مكية، آية رقم ١. هو: ضمير الشأن مبني في محل رفع مبتدأ أول، الله: لفظ الجلالة مبتدأ ثان مرفوع.
أحد: خبر المبتدأ الثاني مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والجملة " الله احد " في محل رفع خبر المبتدأ "هو".

[٥] عمايرة، خليل، آراء في الضمير العائد، ص ٧٧، ٧٨.

[٦] الأمر الحادثة. والجمع أمور. لسان العرب، ج٤، ص٢٦.

[٧] القصة: وهي الجملة من الكلام. لسان العرب، ج٧، ص ٧٣.

[٨] الحكاية: ما يحكى ويقص، وقع أو تخيّل. المعجم الوسيط، ج١، ص ١٩٠.

[٩] الفرّاء، يحيىّ، معاني القرآن، ج١ -ج٣.

[١٠] السيوطي، جلال الدين، الفرائد الجديدة، ص ١٤٧.

[١١] جملة ضمير الشأن.

٣- هيئة ضمير الشـــأن[١]:

١- يأتي ضميراً منفصلاً نحو قوله تعالى: ((**هو الـذي خلقكـم مـن طيـن ثـم قضـى أجـلاً وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتـم تمـترون، وهـو الله فـي السـموات وفـي الأرض يعلـم سـركم وجهركم ويعلم ما تكسبون**)).[٢] ضمير الشأن فـي هـذه الآيـة: "هـو"[٣] جـاء ضمـيراً منفصلاً[٤] وهو في محل رفع مبتدأ والجملـة الاسـمية بعـده " الله فـي ا لسـموات" في محل رفع خبر ضمير الشـأن.

٢- يأتي ضميراً متصلاً نحو قوله تعالى: ((**قد نعلمُ إنـه ليحزُنـك الـذي يقولـون فإنـهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**))[٥] الهاء فـي "أنـه" ضمـير شـأن جـاء متصلاً. وقوله تعالى: ((**يا موسى إنـه أنـا الله العزيـز الحكيـم**)).[٦] الـهاء فـي "إنّـه" عماد[٧] وهو اسم لا يظهر في قـول بعـض أهـل العربيـة وقـال بعـض نحويـي الكوفة هذه الهاء المجهولة ومعناها: " إنّ الأمـر والشـأن أنـا الله".

وقوله تعالى: ((**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لـهم قلـوب يعقلـون بـها أو آذان يسـمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التـي فـي الصـدور**))[٨] الضمـير فـي فإنـها ضمير الشأن. وفي قراءة عبد الله بـن مسـعود[٩] "فإنـه" يجـوز أن يكـون ضمـيراً مبهماً يفسره " الأبصار" وفي تعمي ضمـير راجـع اليـه، والمعنـى: إن أبصـارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمـى بقلوبـهم.

⇐ وقوله تعالى: ((**شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكـة وأولـو العلـم قائمـاً بالقسـط لا إلـه إلا هو العزيز الحكيم**))[١٠] الهاء في "إنه" ضمـير الشـأن والأمر[١١] ويؤيـد ذلـك قـراءة

---

[١] ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصّل، ج٣، ص ١١٤.
[٢] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، الآيتان ٢،٣.
[٣] الضمير فيه قولان: الأول هو ضمير اسم الله تعالى يعود على ما عادت عليه الضمائر السابقة له.
الثاني:إنه ضمير القصة وهو الأرجح لأنه لو أعاده على الله لصار التقدير الله، الله.
[٤] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٤، ص ٥٢٨.
[٥] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٣٣. الشاهد، جاء ضمير الشأن متصلاً "إنّه" وهو في محل نصب إنّ وخبره الجملة الفعلية.
[٦] القرآن الكريم، سورة النمل، مكية، آية رقم ٩.
[٧] الطبري، محمد، جامع البيان، مجلدة ٩، ج١٩، ص ٨٣. على اعتبار أن بعض النحاة اعتبر ضمير الشأن ضمير عماد ومنهم الفرّاء راجع: أسماء ضمير الشأن
[٨] القرآن الكريم، سورة الحج، مدنية، آية رقم ٤٦.
[٩] مكرم، عبد العال، معجم القرآءات القرآنية، ج٤، ص ١٨٩.
[١٠] القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدنية، آية رقم ١٨.
[١١] السمين الحلبي، احمد، الدر المصون، ج٣، ص ٧٤.

عبد الله "شهد الله أنْ لا إله إلاّ هو" حيث جـــاءت "أن" مخففـــة، والمخففـــة لا تعمـــل إلا في ضمير الشأن. ويحتمل عـــود الضمـــير علـــى البـــارئ لتقـــدم ذكـــره والأول أرجح كما أسلفت.

⇐ وقوله تعالى: ((**أنْ تقولوا إنمـــا أنـــزل الكتـــابُ علـــى طـــائفتين مـــن قبلنـــا وإنْ كنـــا عـــن دراستِهم لغافلين**)).[١] الهاء في "دراستهم" "ضمير الشـــأن"[٢] جـــاء متصـــلاً.

⇐ وقوله تعالى: ((**فإذا قرأت القرآن فاســـتعذ بـــالله مـــن الشيطـــان الرجيـــم، إنـــه ليـــس لـــه سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**))[٣] الضمير فـــي "إنـــه" "للشـــأن".[٤]

⇐ وقوله تعالى: ((**ومن يدعْ مع الله إلهاً آخر لا برهان له بـــه فإنمـــا حســـابه عنـــد ربـــه إنّـــه لا يفلح الكافرون**)).[٥] الهاء "إنه" ضمير الشـــأن والأمـــر.

⇐ وقوله تعالى: ((**قالوا يا لوط إنّا رسلُ ربّك لن يَصِلُوا إليك فأسْـــر بـــأهلك بقطـــع مـــن الليـــل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلاّ امرأتك إنه مُصيبها مـــا أصابـــهم إن موعدهـــم الصبـــح أليـــس الصبـــح بقريب**))[٦] الضمير المنصوب في "إنّه" "ضمـــير الشـــأن".[٧]

٣- ومن أحوال ضمير الشأن مجيئه مستترا نحـــو قولـــه تعـــالى: ((**وآخـــر دعواهـــم أن الحمـــدُ الله رب العـــالمين**)).[٨] أن: مخففـــة مـــن الثقيلـــه، واســـمها: ضمـــير الشـــأن المحذوف، والتقدير "أنّه" وحركتْ أن بالكســـرة لالتقـــاء الســـاكنين، والحمـــد: مبتـــدأ مرفوع، الله: متعلق بمحذوف خبر والمصـــدر المـــؤول مـــن أن ومـــا بعدهـــا فـــي محل رفع خبر المبتدأ الســـابق.

⇐ وقوله تعالى: ((**أولم ينظروا في ملكـــوت الســـموات والأرض ومـــا خلـــق الله مـــن شـــيء وأن عسى أنْ يكون قد اقـــترب أجلـــهم فبـــأي حديـــث بعـــده يؤمنـــون**)).[٩] ضمـــير الشـــأن المحذوف في هذه الآية تقديره وأنـــه عســـى.

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٥٦.
[٢] الزمخشري، محمود ، الكشّاف، ج٢، ص ٦٢.
[٣] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ٩٨+٩٩.
[٤] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، جملة٥، ج١٤، ص ٢٣٠.
[٥] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، مكية، آية رقم ١١٧.
[٦] القرآن الكريم، سورة هود، مكية، آية رقم ٨١.
[٧] السمين الحلبي، احمد، الدر المصون، ج٦، ص ٣٦٩.
[٨] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ١٠.
[٩] القرآن الكريم، سورة الاعراف، مكية، آية رقم ١٨٥.

إعراب ضمير الشأن

تناول النحاة ضمير الشأن بالبحث والدراسة، فتبين لهم أن هذا الضمير يعرب إعراباً مرتبطاً بتركيب الكلام، ومن هنا فقد وجدوا أن ضمير الشأن يقع في كلامنا على النحو الآتي:

١- يأتي ضمير الشأن مبتدأ مثل قوله عز وجل: ((**قل هو الله أحد**)).[١]

٢- ويأتي اسماً لـِ "ما" كقول الشاعر:[٢]

وما هو[٣] مَنْ يأسو الكلوم ويُتّقى به نائبات الدهر كالدائم البُخل

وقد منع كثير من النحاة وروده اسماً لـِ "ما" كما مَنَعوا وروده مبتدأ وذهبوا إلى أنه لا محل له من الإعراب.

٣- يأتي منصوباً في بابي إنّ وظنّ.

⇐ نحو قوله تعالى: ((**وأنّه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا**))[٤] ضمير الشأن جاء منصوباً في باب إنّ. "إنّهُ".

⇐ وقوله تعالى: ((**وقال للذي ظنَّ أنه ناج منهما اذكرني عند ربك**)).[٥]

⇐ وقوله تعالى: ((**وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنَّ أنْ لن نقدر عليه**))[٦] ضمير الشأن في "انّه" والمحذوف في "أن لن نقدر عليه". جاءا منصوبين في باب إنَّ.

٤- ويأتي مستتراً في باب كان وكاد. وفي هذه الحالة يفضل إهماله من الناحية الإعرابية لاستتاره نحو قول الشاعر:

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الإخلاص، مكية، آية رقم ١. هو: ضمير الشأن ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ أول، الله: مبتدأ ثان وأحد خبره. الجملة الاسمية "الله أحد"، خبر المبتدأ الأول هو ضمير الشأن.**

[٢] **السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ص ٢٣٤.**

[٣] **هو: ضمير الشأن في محل نصب اسم ما وخبرها الاسم الموصول "مَنْ"**

[٤] **القرآن الكريم، سورة الجن، مكية، آية رقم ١٩.**

[٥] **القرآن الكريم، سورة يوسف، مكية، آية رقم ٤٢.**

[٦] **القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، آية رقم ٨٧. تقدير ضمير الشأن "كان هم الناس" وفي هذه الحالة، اهماله أولى من اثباته.**

إذا متُ كان الناس صنفان شامتُ وآخر مثن بـــالذي كنـــتُ أصنـــع[١]

⇐وقوله تعالى: ((**من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم**))[٢]. ضمـــير الشـــأن مســـتتر بعـــد يزيغ أي "هو يزيـــغ".

- وقد يأتي ضمير الشأن محذوفاً نحو قولـــه تعـــالى: ((**أو لـــم ينظـــروا فـــي ملكـــوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقـــترب أجلـــهم فبـــأي حديـــث بعـــده يؤمنون**)).[٣] ضمير الشأن محذوف تقديره: "وأنه عســـى"[٤] والمعنـــى: " أولـــم ينظـــروا فـــي أنّ الشأن والحديث عسى أن يكـــون قـــد اقـــترب أجلـــهم ولعلـــهم يموتـــون عمـــا قريـــب فيسارعون إلى النظر وطلب الحـــق".[٥]

- وقد يأتي ضمير الشأن محذوفاً مدغماً بـــألاّ نحـــو قولـــه تعـــالى: ((**ألاّ تـــزر وازرة وزر أخرى**))[٦] وتقدير ضمير الشأن المحذوف "انـــه لا تـــزر" "والضمـــير ضمـــير الشـــأن"[٧] ومحل أنّ وما بعدها الجرّ بدلاً من "ما في صحـــف موســـى".

⇐ وقوله تعالى: ((**وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا لجنبـــه أو قـــاعداً أو قائمـــاً فلمـــا كشفنـــا عنه ضره مرّ كأن لم يدْعنا إلـــى ضـــرّ مسّـــه**)).[٨] ضمـــير الشـــأن محـــذوف تقديـــره: "كأنه لم يدعُنا".

---

[١] الشاهد في هذا البيت استتار ضمير الشأن في كان والبيت للعجير السلولي.
[٢] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ١١٧.
[٣] القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ١٨٥.
[٤] أن عسى: ان مخففة من الثقيلة والأصل، "وأنه عسى"، على أن الضمير ضمير الشأن.
[٥] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ١٣٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة، النجم، مكية، آية رقم ٣٨.
[٧] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ٣٣.
[٨] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ١٢.

الفصل الأول

٢. هيئة ضمير الغائب وموقعه الإعرابي

أ. هيئة هاء الغائب وحركتها.

ب. الموقع الإعرابي لضمير الغائب.

ج. أحكام عطف الضمير.

أ- هيئة هاء الغائب وحركتها

هاء الغائب إحدى الهاءات التي تأتي في نهاية الكلمة. والهاءات في اللغة العربية كثيرة منها[١]:

١- هاء الغائب[٢]، نحو قوله تعالى: ((**فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين**))[٣]، الهاء في "لهم، عنهم، شاورهم" هاء الغائب ضمير يعود على صحابة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- هاء العماد[٤]، نحو قوله تعالى: ((**فلما جاءها نوديَ أنْ بورك مَنْ في النار ومَنْ حولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى إنّه أنا الله العزيز الحكيم**))[٥]، الهاء في "أنه" ضمير العماد والشأن ذكرت على شريطة التفسير. ونحو قوله تعالى: ((**يا بنيّ إنها إنْ تكُ مثقال حبة من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير**))[٦] الهاء في "إنها" ليست بضمير يرجع إلى مذكور متقدم وإنما هي مقدِّمة على شريطة التفسير[٧].

٣- هاء الوقف، "هاء السكت". نحو قوله تعالى: ((**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدِه قل لا أسألكم عليه أجرا إنْ هو إلاّ ذكرى للعالمين**))[٨]، ونحو قوله تعالى: ((**ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه**))[٩] وقوله تعالى ((**وما أدراك ما هيه**))[١٠] الهاء في: " اقتده، ماليه، سلطانية، هيه" جميعها هاءات تقف عندها لذلك سميت هاء الوقف.

---

[١] هذا التصنيف للهاءات يقوم أساس الوظيفة النظمية وليس القيمة الانتاجية.

[٢] ويسميها البعض أمثال: محمد بن جرير الطبري، ابن السمين الحلبي، هاء الإضمار وهاء الكناية وتُسمىّ أيضاً هاء الضمير.

[٣] القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدنية، آية رقم ١٥٩.

[٤] سمىّ الفرّاء ضمير الشأن عماداً في مواضع كثيرة في كتابه: معاني القرآن وتابعه الطبري في كتابه جامع البيان.

[٥] القرآن الكريم، سورة النمل، مكية، الآيتان رقم ٨،٩.

[٦] القرآن الكريم، سورة لقمان، مكية، آية رقم ١٦.

[٧] الرماني، علي، معاني الحروف، ص ١٤٨.

[٨] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٩٠.

[٩] القرآن الكريم، سورة الحاقة، مكية، الآيتان ٢٨،٢٩.

[١٠] القرآن الكريم، سورة القارعة، مكية، آية رقم ١٠.

ومن الجدير ذكره أنهم إذا أرادوا بيان الحركة في آخر اللفظ جاؤوا بالهاء نحو: "لا تدعْه" وكذلك يفعلون مع الحرف. فهاء السكت ليست ضميراً بل تعامل معاملة الحروف.[١] وقد يطلق على هاء الوقف هاء الندبة نحو وازيداه، واعمراه" فإذا وصلت سقطت، وإذا وقفت ثبتت لأنها لِمد الصوت، فإذا ناب عنها حرف غيرها في الاتصال، سقطت".[٢]

٤- هاء المبالغة والتفخيم[٣]. نحو: علاّمة، أي كثير العلم، راوية: كثير الرواية. ونحو قوله تعالى: ((**وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا**))[٤]، الهاء في "خالصة" للمبالغة والتفخيم.[٥]

٥- الهاء الأصلية. وهي الهاء التي تكون أحد أصول الكلمة ولا يستقيم معنى الكلمة دونها نحو قوله تعالى: ((**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**))[٦]، الهاء في " الهكم" أصلية لأنها أحد الأصول الأساسية في الكلمة "إله" .

٦- هاء البدل[٧]، نحو "هراق ماءَك" فالهاء بدل الهمزة. وذكر بعضهم[٨] أنواعاً كثيرة للهاءات منها: هاء الأمر، هاء الندبة والهاء التي تتحول إلى تاء وهاء الوصل وغيرها.

والأصل في الضمير أن تتبع هاءه واوٌ، فالاسم الهاء وحدها، والواو تلحقها لخفاء الهاء[٩]، فإذا وقفت وقفت بالهاء وحدها لئلا يكون بمنزلة الحروف الأصلية نحو: رأيته، اعطيته، إذا وقفت، فإذا وصلت، قلت: "أعطيتهو، رأيتهو.

"فإن كان قبل الهاء ياء أو كسرة كان الأحسن أن تبدل من ضمنها كسرة لاستثقال، الضمة بعد الياء والكسرة ومن الواو ياءً "[١٠] نحو: "ذهبت إليهي"، "مررت

---

[١] النعيمي، حسام، الدراسات اللهجية والصوتية، ص ٣٢٨.
[٢] ابن جني، عثمان، سر صناعة الاعراب، ج٢، ص ٥٦٧.
[٣] ابن شقير احمد، المحلّى " وجوه النصب"، ص ٢٤٥.
[٤] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٣٩.
[٥] ابن شقير، احمد، المحلى وجوه النصب، ص ٢٤٥.
[٦] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدينة، آية رقم ١٦٣.
[٧] الرماني، علي، معاني الحروف، ص ١٤٦.
[٨] ابن شقير، احمد، المحلى، وجوه النصب، ص٢٤٨ وما بعدها.
[٩] والهاء عندما تكون في آخر الكلمة تظهر في اللفظ فإذا تبعها حرف آخر وضح لفظها "الواو زيدت لخفاء الهاء ذلك أنّ الهاء تخرج من أقصى الحلق والواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة لهذا زيدت وتسقط في الوقف الزجاج/ معاني القرآن/ ج١، ص ١٥٠.
[١٠] المبرد، محمد، المقتضب، ج١، ص ٢٦٤.

بهي" ، نزلت عليهي" ويجوز لك أن تحذف مـا بعـد الـهاء لسـكونها وسـكون اليـاء، " لأن الهاء التي بينها حاجز ليست بحصين"[١]، فتقول: "نزلت عليـه يـا فتـى".

ومن خلال تتبع الشواهد العديدة في القـرآن الكريـم لوحـظ أن هـذه الـهاءات تـأخذ أشكالا متعددة بحسب حركتها وحركة الحرف الذي يسـبقها، فقـد تـأتي هـذه الـهاء سـاكنة وقد تأتي مكسورة من غير ياء، وقد توصل بيـاء وتفصيـل هـذه الحـالات والأشكـال علـى النحو التالي:

١- ضم الهاء: حيث إن الأصل في هـذه الـهاء أن تكـون مضمومـة[٢] نحـو قولـه تعالى: ((**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قـال إنـه يقـول إنـها بقـرة لا فـارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**))[٣]، الهاء في "إنـه" جـاءت مضمومـة.

⇐ونحو قوله تعالى: ((**قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريـم، إنـه مـن سـليمان وإنـه بسم الله الرحمن الرحيم**))[٤]. أيضا الهاء فـي "إنـه" جـاءت مضمومـة وعـادت علـى الكتاب الكريم.

ولكن إذا سبقت الهاء بياء أو كسـرة، "فـالأفضل اسـتبدال الكسـرة بـالضم لاسـتثقال النطق بالضم."[٥] "وقد انفرد حفص[٦] بضمها بعد الياء في آيتيـن: قولـه تعـالى: ((**قـال أرأيـت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطـان أن أذكـره واتخـذ سـبيله فـي البحـر عجبا**))[٧]، ذلك أن الأصل في هاء الضمير البناء علـى الضـم، ومـا نلاحظـه قولـه تعـالى: "انسانيه" أن الهاء سبقت بياء. وحركتها الضم، ومثله قولـه تعـالى: ((**ومـن أوفـى بمـا عـاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما**))[٨] أيضا الهاء في "عليه" ضمـت علـى الرغـم مـن أنـه سـبقها ياء. وقرئت "لأهله" نحو قوله ((**إذ رأى نـارا فقـال لأهلـه امكثـوا أنـي أنسـت نـارا**))[٩]، فـهذه

---

[١] المبرد، محمد، المقتضب، ج١، ص ٢٦٥.
[٢] السمين الحلبي احمد، الدر المصون، ج١، ص ٧٠.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٦٨.
[٤] القرآن الكريم، سورة النمل، مكية، الآيتان ٢٩،٣٠.
[٥] عضيمة، محمد، دراسات ، لأسلوب القرآن، القسم الثالث، ج١، ص ٢٣.
[٦] أحد رواة القراء السبعة المشهورين لأنه روي قراءة عاصم فقد قرأ حفص بضم الهاء وباقي القراء بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل.
[٧] القرآن الكريم، سورة الكهف، مكية، آية رقم ٦٣.
[٨] القرآن الكريم، سورة الفتح، مدنية، آية رقم ١٠.
[٩] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ١٠. قرأها حمزة، نافع، الأعمش، طلحة، معجم القراءات، عبد العال مكرم، ج٤، ص ٧١.

الضمة جاءت على لغة الحجازيين والكسر على لغة غيرهم"[١]، فالحجازيين حريصون على إبقاء الضمير مبنيا على الضم حيث ورد[٢] حتى لا نضطر إلى تغيير حركة المبني لسبب حركة ما قبله.

٢- اسكان الهاء "لأنّ الياء الساكنة قد حُذفت فصارت الهاء في موضع لام الفعل[٣] على أن مِن العرب مَن يسكن هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها نحو قوله تعالى: ((أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)).[٤]

٣- وصل الهاء بياء حملاً على الأصل . ومن ذلك قراءة ابن كثير لقوله تعالى: ((كلما أضاء لهم مشوْا فيهي))[٥] أمّا باقي القراء فقرأوها بدون ياء "لأنهم كرهوا اجتماع حرفين ساكنين بينهما حرف خفي وليس بحاجز حصين"[٦] ونحو قوله تعالى: ((ثم اجتباه ربه))[٧] حيث قرأ ابن كثير "اجتباهو" بالواو لتقوية الهاء لخفائها حملاً على الأصل في التقوية.[٨]

٤- الكسر من غير ياء. نحو قوله تعالى: ((ومن أهل الكتاب مَنْ إنْ تأمنهُ بقنطار يؤدّه اليك))[٩]، الهاء في "يؤدهِ" مكسورة ولم تسبقها ياء لأن الأصل في "يؤدهَ" قبل الجزم "يؤديهي" حيث يوجد ياءان ساكنان بينهما هاء خفيفة هي هاء الغائب وهي ليست بحاجز حصين وقد وردت أشكال هاء الغائب المتنوعة في قوله تعالى: ((صراط الذين أنعمت عليهم))[١٠]، فضمير الغائب المتصل في "عليهم" ضمير يعود على الأنبياء عليهم السلام. وفي هذه الهاء عشر لغات[١١] هي: "عليهُم"[١٢]: بضم الهاء وإسكان الميم. "عليهم"[١٣] وبكسر الهاء

---

[١] السلسبيلي، محمد، شفاء الغليل، ج١، ص ١٨٣.
[٢] النعيمي، حسام، الدراسات، اللهجية الصوتية، ص ٢١٠.
[٣] الحموز، عبد الفتاح، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، ص ٢٩٧.
[٤] القرآن الكريم، سورة الانعام مكية، آية رقم ٩٠.
[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢٠. "فيهي": مكرم، عبد العال، معجم القراءات القرآنية، ج١، ص ٣٥ وردت في الحجة، لابن خالوية ص٧١.
[٦] الحموز، عبد الفتاح، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، ص ٢٩٧.
[٧] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ١٢٢.
[٨] الحموز،عبد الفتاح، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، ص ٢٩٧.
[٩] القرآن الكريم، سورة آل عمران،مدنية، آية رقم ٧٥.
[١٠] القرآن الكريم، سورة الفاتحة، مكية، آية رقم ٧.
[١١] السمين الحلبي، احمد، الدر المصون، ج١، ص ٧٠+ص٧١.
[١٢] قراءة حمزة، ابي الحسن، والأخفش، ويعقوب المطوعين الشنبوذي، انظر: عبد العال مكرم، معجم القراءات، ج١، ص ١٢-١٤.
[١٣] النص المصحفي.

واسكان الميم و"عليهمي" [١] بكسر الهاء ووصل الميم بياء. و"عليهمُو"[٢] بكسر الهاء ووصل ميم الجماعة بواوْ و"عليهُمو"[٣] بضم الهاء ووصل الميم بواو.

وهذه الأوجه الستة المأثورة عن الإئمة من القرّاء، ويوجد أربعة أوجه أخرى منقولة عن العرب غير محكية عند القرّاء هي:

- "عليهُمِي"[٤] بضم الهاء وكسر الميم ووصلها بياء.
- "عليهمُ"[٥]، بكسر الهاء وضم الميم.
- و"عليهِم"[٦] بكسر الهاء والميم معاً.

والأصل في "عليهُم" ضم الهاء كما أسلفنا، وهي لغة الرسول صلى الله عليه وسلم أما من يكسرها فلمجاورة الياء ولأنه استثقل الضمّة على الهاء وقبلها ياء ساكنة، فقال "عليهمْ" " لكثرة دور المكنىً في الكلام"[٧] وكذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل "بهم".

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ((قال يا آدمُ أنبئْهُم بأسمائهم))[٨] فيجوز في "أنبئهم" ضم الهاء وكسرها، فالضم باثبات الهمزة، أمّا إذا ألغيت فيجوز الوجهان رفع هم وكسرها[٩] كما مرّ معنا في "عليهم، عليهُم". ومن ذلك قوله تعالى: ((**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**))[١٠]، فالهاء في "منهُم" جاءت مضمومة، وقد ذكر القرطبي " أنّ ناساً من ربيعة يقولون "منهم" بكسر الهاء"[١١]، اتباعاً لكسر الميم. وقوله تعالى: ((**يهدي به الله مَن اتبع رضوانه سبل السلام**))[١٢]، وقوله تعالى: ((**قل أرأيتم إنْ أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَنْ إله**

---

[١] قراءة الحسن البصري، وعمرو بن فائد، انظر: عبد العال مكرم، معجم القراءات، ج١، ص ١٢-١٤.
[٢] قراءة ابن كثير، وقالون، والأعرج، انظر : عبدالعال، مكرم، معجم القراءات، ج١، ص (١٢-١٤).
[٣] قراءة ابن كثير، وابي عمرو، وأبي جعفر، واسحق، وقالون، والأعرج، وعيسى الثقفي، ومسلم بن جُندب.
[٤] قراءة أبي الحسن، والأخفش.
[٥] قراءة الأعرج.
[٦] قراءة الحسن البصري، وعمرو الفائد.
[٧] الفراء، يحيى، معاني القرآن، ج١، ص٥.
[٨] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٣٣.
[٩] إنّ همزت قلت "أنبئْهُم"، ولم يجز كسر الهاء والميم لأنها همزة وليست بياء فتصير مثل عليهم.
[١٠] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٧٥.
[١١] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١.
[١٢] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ١٦.

غير الله يأتيكم به))[١]. الهاء في "به" في الآيتين السابقتين مضمومة على الأصل، ومن كسر أبدل من الضمة كسْره لئلا يجمع بين ضمه وكسره، فيصبح هناك ثقل في النطق. وقد تكسر هاء ضمير الغائبين المتصل كما في قوله تعالى: ((سواءٌ عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين))[٢].

ونحو قوله تعالى: ((قالوا أرْجِهْ وأخاهُ وأرسلْ في المدائن حاشرين))[٣]، فالهاء مكسورة في الآيتين السابقتين في قوله "علهم، أرجه"، إنّ كان قبله ساكن. يقول ابن خالويه: "إنّ الهاء الساكنة على لغة من يَسكّن كُسرتْ لالتقاء الساكنين لأن سكون الهمزة علاقة للبناء وهو الاختيار لأن فيه احتراماً لظاهر النص القرآني"[٤]

ومن أمثلة كسر هاء الغائب قوله تعالى: ((الذين هم عن صلاتهم ساهون))[٥] فكسرتْ الهاء في قوله "صلاتهم"، وأصلها الضم لمجاورة كسرة التاء أمّا في الضمير "هم" في نفس الآية، فنجد أنّ حركة الهاء الضم، لعدم مجاورتها للكسرة أو الياء.

أما تسكين هاء الغائب[٦]، فنلاحظ أنّ هناك العديد من الآيات قد سكّنت هاؤها، من ذلك قوله تعالى: ((ومَنْ يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومَنْ يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين))[٧]، ونحو قوله تعالى: ((ومَنْ يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىّ ونصله جهنم وساءت مصيرا))[٨]، فالهاء في الآيات الثلاث السابقة "يؤدّهُ، نؤتهْ، نصلهْ" ضمير غائب متصل، اسكنتْ هاؤه لأنّ الفعل المتصل بها جاء مجزوماً فحذفت لام الفعل المضارع منعاً لالتقاء الساكنين ولو لم تأتِ هذه الكلمات في موضع جزم لما اسكنت الهاء. أما هاء الضمير المنفصل "هو، هي"، فنجد أنّ القرّاء

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٤٦.

[٢] القرآن الكريم، سورة المنافقون، مدنية، آية رقم ٦.

[٣] القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ١١١."أرجه" وقرئت "أرجئه" مكرم، عبد العال معجم القراءات القرآنية، ج٢، ص ٣٨٦ قراءة أبو عمرو، عاصم ، هشام، الداجوني، شعبة، غيرهم....

[٤] الحموز، عبد الفتاح، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، ص ٢٨٠،

[٥] القرآن الكريم، سورة الماعون، مكية، آية رقم ٥.

[٦] المقصود بإسكان هاء الغائب أي عدم مدّها.

[٧] القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدنية، آية رقم ١٤٥. إسكان الهاء في (نؤته) قراءة: أبي عمرو، وحمزة، وهشام، وابن داود، وأبي جعفر، أنظر: مكرم، عبد العال، معجم القراءات القرآنية، ج٢، ص٦٩.

[٨] القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ١١٥.

اختلفوا فيما بينهم حول إسكان هذه الهاء أو تحريكها[١] نحو قوله تعالى: ((وهُوَ محرمٌ عليكم إخراجهم))[٢]، وقوله تعالى: ((وهو الغفور الودود))[٣] وقوله: ((إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير))[٤] وهو كثير شائع أما اتصال الفاء بالهاء، فنحو قوله تعالى: ((ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة))[٥].

---

[١] اختلفوا في هاء "هو وهي"، فقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة بتحريك الهاء وقرأ أبو عمرو والكسائي بإسكانها إذا كان قبلها واو أو فاء، انظر: إعراب القرآن، ابو جعفر النحاس، ج١، ص ١٢٦.

[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٨٥.

[٣] القرآن الكريم، سورة البروج، مكية، آية رقم ١٤.

[٤] القرآن الكريم، سورة هود، مكية، آية رقم ٤.

[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٧٤.

ب – الموقع الإعرابي لضمير الغائب

ومن الصور المشرفة في لغتنا العربية وجود الضمائر التي تلعب دوراً هاماً وبارزاً في تحديد الكلام ووجهته، فنجد أنّ لكل ضمير وظيفة خاصة به واعراباً ثابتاً له. والضمائر على اختلاف أنواعها مبنية[١] سواء أكانت متصلة ام منفصلة وهي إمّا أن تكون في محل رفع وإما أن تكون في محل نصب، أو في محل جر.

ومن الشواهد، القرآنية التي تبرز ضمائر الغائب المنفصلة:

الضمير **هو** في قوله تعالى: ((قل هو الله أحد))[٢].

وقوله تعالى: ((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا))[٣] .

وهما نحو قوله تعالى: ((والذي قال لوالديه أف، لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله))[٤].

وهنّ في قوله تعالى: ((أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفثُ إلى نسائكم هنّ لباس لكم))[٥].

وفي قوله تعالى: ((قال يا قوم هؤلاء بناتي هُنّ أطهر لكم))[٦].

وهي في قوله تعالى: ((وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم))[٧].

وقوله: ((فألقى عصاه فإذا هي بيضاء للناظرين))[٨].

وهم في قوله تعالى: ((أولئك هم الوارثون))[٩].

---

[١] المضمرات كلها مبنية لشبهها بالحروف في الجمود ولذلك لا تصغر ولا تثنى ولا تجمع.
[٢] القرآن الكريم، سورة، الاخلاص، مكية، آية رقم ١.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢٩.
[٤] القرآن الكريم، سورة الاحقاف، مكية، آية رقم ١٧.
[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٨٧.
[٦] القرآن الكريم، سورة هود، مكية، آية رقم ٧٨.
[٧] القرآن الكريم، سورة التوبة، مدنية، آية رقم ٦٨.
[٨] القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، الآيتان ١٠٧،١٠٨.
[٩] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، مكية، آية رقم ١٠.

وفي قوله تعالى: ((هم وأزواجهم في ظلال علـــى الأرائـــك متكئـــون))[١].

فإعراب ضمائر الرفع واحـــد لا يختلـــف وهـــو: "ضمـــير منفصـــل فـــي محـــل رفـــع مبتدأ"[٢] والذي يختلف فقط هو حركة البناء حسب الحـــرف الأخـــير فـــي كـــل منـــها، فيبنـــى على الفتح في: هوَ وهيَ وهنَّ وعلى السكون فـــي : هُمـــا وهـــم.

ومن الشواهد على ضمائر النصـــب المنفصلـــة:

وإياه: كقوله تعالى: ((واشكروا الله أنْ كنتـــم إيّـــاه تعبـــدون))[٣].

وفي قوله تعالى: ((بل إياه تدعـــون))[٤]. وفـــي قولـــه: ((وقضـــى ربـــك ألا تعبـــدوا إلاّ إياه))[٥]

وإياهم في قوله تعالى: ((نحن نرزقكـــم وإيـــاهم))[٦]

فإعراب ضمائر النصب المنفصلـــة هـــو: ضمـــير مبنـــي فـــي "محـــل نصـــب"[٧] أمّـــا ضمائر الغياب المتصلة فهي على ثلاثة أنواع: في محل رفـــع أو فـــي محـــل نصـــب أو فـــي محل جر.

وإعراب هذه الضمائر يتوقف على نوع الكلمة التي يتصـــل بـــها ضمـــير الغـــائب فـــإن كان ضمير الغائب متصلاً بالأسماء فإعرابـــه دائمـــاً فـــي محـــل جـــر بالاضافـــة وإن كـــان ضمير الغائب متصلاً بحروف الجر، فإعرابـــه فـــي محـــل جـــر بحـــرف الجـــر. وإن كـــان الضمير متصلاً بالأفعال فإعرابه في محل نصب مفعـــول بـــه، والأمثلـــة والشواهـــد القرآنيـــة على ذلك كثيرة ولا يتسع المجال -هنا- لسردها بل نكتفي بذكـــر بعضـــها واعـــراب ضمـــير الغائب بها عندما يكون متصـــلاً.

---

[١] القرآن الكريم، سورة يس، مكية، آية رقم ٥٦.
[٢] النحاس، احمد، اعراب القرآن، ج٤، ص ٢٧٨.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٧٢.
[٤] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٤١.
[٥] القرآن الكريم، سورة الاسراء، مكية، آية رقم ٢٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٥١.
[٧] النحاس، احمد، اعراب القرآن، ج٤، ص ٢٧٨ وما بعدها.

⇐ ومن ذلك قول الله عز وجل: ((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))[١] فالهاء في "جعلناه": ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به أول للفعل جعل، فهو يأخذ مفعولين لأنه من أفعال الصيروة والمفعول الثاني في الآية هو "قرآنا".

⇐ وقوله تعالى: ((ولكل وجهة هو موليها))[٢] الهاء في "موليها" ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. "أما المفعول الثاني فمحذوف تقديره: هو موليها وجْهَهُ أو نفسَه"[٣].

⇐ وقوله تعالى: ((فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن))[٤]، فالهاء في كل من "ابتلاه، وأكرمه، ونعمه" جميعها ضمائر متصلة في محل نصب مفعول به.

⇐ وقوله تعالى: ((إنه لقول فصل))[٥] الهاء في "انّهُ" ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب اسم إنّ.

⇐ وقوله تعالى: ((كأنهنّ الياقوت والمرجان))[٦] الضمير المتصل في "كأنهن" في محل نصب اسم كأنّ.

وقد تأتي ضمائر الغياب المتصلة في محل جر بحرف الجر كقوله تعالى: ((وأرسلَ عليهم طيراً أبابيل))[٧]، وقوله: ((لا تسمع فيها لاغية))[٨] فضميرا الغائب المتصلان في "عليهم، وفيها" مبنيان على السكون في محل جر بحرف الجر. وقد تأتي ضمائر الغياب المتصلة في محل جر بالاضافة كقوله تعالى: ((ختم الله على قلوبهم))[٩]، وقوله: ((والشمس وضحاها))[١٠] والهاء المتصلة بـ "قلوبهم، ضحاها" مبنية على السكون في محل جر بالإضافة.

وهاء الغائب من الضمائر التي يشترك فيها محلا النصب والجر.

---

[١] القرآن الكريم، سورة الزخرف، مكية، آية رقم ٣.
[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٤٨.
[٣] النحاس، احمد، اعراب القرآن، ج١، ص ٢٧١.
[٤] القرآن الكريم، سورة الفجر، مكية، آية رقم١٥.
[٥] القرآن الكريم، سورة الطارق، مكية، آية رقم ١٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة الرحمن، مدنية، آية رقم ٥٨.
[٧] القرآن الكريم، سورة، الفيل، مكية، آية رقم ٣.
[٨] القرآن الكريم، سورة الغاشية، مكية، آية رقم ١١.
[٩] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٧.
[١٠] القرآن الكريم، سورة الشمس، مكية، آية رقم ١.

ج- أحكام عطف الضمير

وذهب النحاة إلى مسألة العطف على الضمير ونصوا على أحكام هذا العطف فقالوا: إنه :-

١- يُعطف الضمير المنفصل على الضمير المنفصل نحو: "أنا وأنت متفقان".[١]

٢- ويعطف الاسم الظاهر على الضمير المنفصل نحو قوله تعالى: ((**وقلنا يا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما**)).[٢] وقوله تعالى: ((**اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري**))[٣].

٣- إذا عطف الاسم الظاهر على ضمير رفع متصل أو على الضمير المستتر وجبَ أن يفصل بينهما بضمير منفصل أو بأي فاصل آخر[٤] حيث "لا يجوز العطف على الضمير المرفوع بغير تأكيد بالمنفصل أو بغير فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشيء لئلا يلزم عطف الاسم على الفعل"[٥]، لأنّ المرفوع بمنزلة جزء الفعل لشدة اتصاله به، هذا عند البصريين، بينما نجد أنّ الكوفيين أجازوا هذا العطف مطلقاً دون أية شروط نحو قوله تعالى: ((**كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قوي عزيز**))[٦].

٤- إذا عطف الاسم الظاهر على ضمير نصب متصل جاز العطف من غير فاصل نحو قوله تعالى: ((**قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضرر**)).[٧]

٥- إذا عطف الاسم الظاهر على ضمير مجرور متصل يحسن إعادة الجار حرفاً أو اسماً مع المعطوف نحو: "مررتُ به وبأخيه"[٨].

---

[١] **الشاهد: الضمير المنفصل "أنت" جاء معطوفاً على الضمير المنفصل "أنا".**

[٢] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٣٥. الشاهد: الاسم الظاهر "زوج" عطف على الضمير المنفصل "أنت".**

[٣] **القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ٤٢.الشاهد : الاسم الظاهر "أخوك" عُطف على الضمير المنفصل "أنت".**

[٤] **هذا رأي جمهور النحاة ، وهناك من خالف ذلك، ولم يشترط الفصل كابن مالك مثلاً.**

[٥] **باشا، ابن كمال، أسرار النحو، ص ١٧٤.**

[٦] **القرآن الكريم، سورة المجادلة، مدنية، آية رقم ٢١. الشاهد: الاسم الظاهر (رسلي) عطف على ضمير رفع متصل بالفعل (لأغلبن) فوجب فصله بالضمير أنا.**
الشاهد: الاسم الظاهر "رسلي" عطف على ضمير رفع متصل بالفعل "لأغلبن" فوجب فصله بالضمير "أنا".

[٧] **القرآن الكريم، سورة يوسف، مكية، آية رقم ٨٨. الاسم الظاهر "أهلنا" عطف على ضمير نصب متصل وهي "نا" في "مسّنا". فجاز العطف عليه من غير فاصل.**

[٨] **الاسم الظاهر جاء مجروراً بالباء على الضمير المجرور "به".**

٦- وقد يعطف الاسم الظاهر على ضمير مجرور متصل دون إعادة الجار نحو قوله تعالى: ((**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصدّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام**))[١]. فقوله تعالى "المسجد" مجرورة عطفاً على الهاء المجرورة بالباء لا بالعطف على كلمة سبيل، لاستلزامه العطف على الموصول "الصدّ" قبل تمام تعلقه، لأنّ "عن سبيل" متعلق له، إذ هو متعلق "به" و"كفر" معطوف على "الصّد". فإن جعل المسجد معطوفاً على سبيل، كان من تمام تعلقه، لأن "عن سبيل" متعلق له، إذ هو متعلق به، و"كفر" معطوف على الصد، فإنْ جعل "المسجد" معطوفاً على "سبيل" كان من تمام تعلقه "الصّد" ، و"كفر" معطوف عليه، فيلزم العطف على الموصول[٢]، وهذا غير جائز باجماع النحاة فالأسلم العطف على الهاء.

حكم العطف على الضمير المخفوض.

واختلف علماء المذهبين في حكم العطف على الضمير المخفوض، فذهب البصريون إلى منع هذا العطف؛ لأن الجار والمجرور شيء واحد في نظرهم، "ولأن الضمير صار عوضاً عن التنوين فينبغي ان لا يجوز العطف عليه كما لا يجوز العطف على التنوين".[٣].

أما الكوفيون، ومعهم من البصرة يونس والأخفش،[٤] فجوزوا هذا العطف[٥] وحجتهم في ذلك قراءة حمزة الزيات في قوله: " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام"[٦]، وقوله تعالى: ((**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء**))[٧]. ويؤيد الطبري[٨] عطف الظاهر على الضمير المجرور من

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢١٧.
[٢] مكرّم، عبد العال، القرآن الكريم، وأثره في الدراسات النحوية، ص ٣١٧.
[٣] الأنباري، عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢، ٤٦٧.
[٤] عمايرة، خليل، آراء في الضمير العائد، ص ٥٤.
[٥] الأنباري، عبد الرحمن الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢، ص ٤٦٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ١. قرأ "والأرحام": حمزة، والمطوعي، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والأعمش، انظر: مكرم عبد العال، معجم القراءات القرآنية، ج٢، ص ١٠٤.
[٧] القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ١٢٧. ما: في موضع خفض، لأنه عطف على الضمير المخفوض في "فيهنّ".
[٨] الطبري، محمد، جامع البيان، المجلد الرابع، ص ١٥١.

غير فاصل معللاً قوله بقراءة من قرأ "والأرحـــام". وكأنـــه أراد: واتقـــوا الله الـــذي تســـاءلون به وبالأرحام، فعطف الظاهر على مكنّـــى مخفـــوض.

⇐ نحو قوله تعالى: ((**قال رب إني لا أملـــك إلاّ نفســـي وأخـــي فـــافرقْ بيننـــا وبيـــن القـــوم الفاسقين**)).[١] فالاسم الظاهر "أخي" جـــاء منصوبـــاً[٢] وقـــد عطـــف علـــى الضمـــير المجرور في (نفس) وهو ضمير مجرور بإضافتـــه إلـــى (نفـــس).

⇐وقوله تعالى: ((**قل الله ينجيكم منها ومن كل كـــرب ثـــم أنتـــم تشركـــون**))[٣] فقـــد عطـــف على الضمير المجرور بإعادة حرف الجر[٤]، وهو واجـــب عنـــد البصريـــن.

---

[١] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٢٥.

[٢] الزمخشري، محمود، الكشاف، ج١، ص ٦٠٥. وذكر في إعراب "أخي" وجوهـــاً كثـــيرة، فقيـــل: تـــأتي مرفوعة عطفاً على محل إنّ واسمها وتقدير الكلام: " أنا لا أملك إلاّ نفسي وهـــارون، كذلـــك لا يملـــك إلاّ نفسه"، أو معطوفة على الضمير في "لا أملك". ومن وجوه الإعراب: أنّ تكون مجرورة عطفاً على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور إلاّ بتكرير الجار، فإما ان تكـــون كلمـــة أخـــي معطوفة على مرفوع أو على منصوب وكلاهما جائز حسب تقدير الكلام.

[٣] القرآن الكريم، سورة الانعام، مكية، آية رقم ٦٤.

[٤] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٤، ص ٦٧٠.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الدراسة الأسلوبية لضمير الغائب

١. عود ضمير الغائب

أ- وسائل معرفة عود الضمير.

ب- عوده على الأقرب.

ج- عوده على المفهوم (غير مذكور).

د- عوده على المحدث عنه.

ه- عوده على المصدر.

و- عوده على المضاف.

ز- تعدد مرجع ضمير الغائب.

ح- تطابق الضمائر.

٢. أسلوبا الالتفات والتوجيه في ضمير الغائب

أ- الالتفات.

ب- التوجيه.

التمهيـــــــد

الضمائر كلها لا تخلو من الإبهام والغموض وتحتاج إلى شيء يزيل هذا الغمـــوض عنـــها، فضميرا المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما في الكلام، فهو حـــاضر يتكلـــم بنفســـه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، أمّا ضمير الغائب فيحتاج إلى شـــيء يفسِّـــرُه، لأن صاحبـــه غـــير معروف، فهو غير حاضر وغير مشاهد.

والأصل في هذا المفسِّر أن يكون سابقاً على الضمير وجوباً[١]، وقد يُهمل لحكمة بلاغية معينة كفهمه من السياق مثلاً.

ويقع الضمير في لغتنا متقدماً، ويكون هذا التقدم على أنواع[٢]، منها:

الأول: التقدم في اللفظ والرتبة. فالتقدم لفظاً: أن يكون المرجع مذكوراً نصّاً قبل الضمـــير، والتقدم رتبة: أن يكـــون ترتيب المرجع في تركيب الجملة متقدماً علـــى الضمـــير وسابقاً عليه بحسب الأصول والقواعد العربية، فرتبة الفاعل متقدمة على المفعـــول، ورتبة المبتدأ متقدمة على الخبر، ورتبة المضاف قبل المضاف إليه. والأصـــل فـــي رجوع الضمير أن يعـــود على المتقدم لفظاً ورتبة، وهذا كثير في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ((وإذ استسقى موسى لقومه))[٣] فالضمير يعود على الفـــاعل. وقولـــه تعالى: ((قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفره))[٤]، فالضمير في قوله تعالى: (ما أكفره) عائد على نائب الفاعل، وقوله تعالى: ((وإلهُكم إله واحد لا إله إلاّ هُو))[٥]، فالضمير (هو) عـــاد علـــى المبتدأ، وغيرها.

---

[١] السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ص ٢٢٦.
[٢] ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب، ص ١٣٦. حسن، عباس، النحو الوافي، ج١، ص ٢٥٧.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٦٠.
[٤] القرآن الكريم، سورة عبس، مكية، آية رقم ١٧.
[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٦٣.

والثاني: التقدم في اللفظ دون الرتبة[١]، نحو قوله تعالى: ((**وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ**))[٢] فقد تقـــدّم المفعول به (إبراهيم) على الفاعل (ربُّ)، ونحو قوله تعالى: ((**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت**))[٣] فقد عاد الضمير (لها) على الخبر (أمة).

والثالث: التقدّم في الرتبة دون اللفظ. نحو قوله تعالى: ((**فأوجس في نفســـه خيفــة موســى**))[٤] الضمير في (نفسه) يعود على متأخر في اللفظ وهو (موسى) لكنه متقدم في الرتبـــة لأنه فاعل، وقوله تعالى: ((**ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون**))[٥]. فالضمير في (ذنوبهم) يعود على متأخر في اللفظ وهو (المجرمون) لكنه متقدم في الرتبة لأنه فاعل.
وقوله تعالى: ((**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان**))[٦]، فالضمير في (ذنبـــه) يعـــود على متأخر في اللفظ وهو (إنس)، لكنه متقدم في الرتبة لأنه فاعل.

والرابع: عوده على متأخر لفظاً ورتبة: وهذا نادر في القرآن، ولا يتسع المجال لسرده.
يقول محمد صبره[٧]: (لم أجد في القرآن إلاّ موضعين في الضمير المبني على الهاء: الموضع الأول: ضمير الشأن والقصة. والثاني: إذا كان ضمير الغائب مبتدأ مفسّراً بالخبر).
ويتابع حديثه قائلاً: (إن سبب ندرة وجود ضمير الغائب عائداً على متأخر في اللفظ والرتبة وخروجه عن المألوف. فالأصل في الضمير أن يعود على ما قبله، أما أن يرجع إلى غير مذكور أو يرجع إلى متأخر، فهذا قليل).

---

[١] ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب، ص ١٣٦.
[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٢٤.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان ١٣٤، ١٤١.
[٤] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ٦٧.
[٥] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ٧٨.
[٦] القرآن الكريم، سورة الرحمن، مدنية، آية رقم ٣٩.
[٧] صبره، محمد، مرجع الضمير في القرآن الكريم، ص ٢٩.

أ- وسائل معرفة عود الضمير

وهنالك وسائل تقودنا إلى معرفة عود الضمير في القرآن الكريم منها: معرفة أسباب النزول، وسبب النزول كما نعلم، إمّا أن يكون قصة لحادثة وقعت، وإمّا أن يكون جواباً عن سؤالٍ طُرح على رسول الله صلى الله عليه وسلّم لإعطاء حُكْم في موضوع فينزل القرآن إثر الحادثة أو السؤال.

ومعرفة سبب النزول له أثره الواضح في فهم المعنى وتفسير الآية، فإنّ معرفة المناسبة التي نزلت فيها، تساعد كذلك على حسن التأويل ودقة الفهم، والأمثلة كثيرة جداً في القرآن الكريم، منها:

١. قوله تعالى: ((ومن الناس منْ يشْري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوفٌ بالعباد))[١].

اتفق المفسرون على أنّ هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي، يقول أبو السعود[٢]: أخذ المشركون صهيباً وعذّبوه ليرتد عن دينه، فقال لهم، أنا شيخ كبير لا أنفعكم، فخذوا مالي وخلّوا سبيلي، فقبلوا منه ماله فأتى المدينة.

وورد في تفسير الشوكاني[٣]: أخرج ابن مردوية عن صهيب، قال: لما أردتُ الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، قالت لي قريش: يا صهيب، قدِمْتَ إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك، والله لا يكون ذلك أبداً، فقلت لهم: أرأيتم إنْ دفعت إليكم مالي تخلّون عني، قالوا: نعم، فدفعت إليهم مالي، فخلوا عني، فخرجتُ حتى قدِمْتُ المدينة، فبلغَ ذلك النبي صلى الله عليه وسلّم، فقال: ربحَ البيعُ صهيبٌ مرتين. وقيل[٤]: نزلت هذه السورة في صهيب (أبي يحيى) عندما كان مهاجراً مع الرسول صلى الله عليه وسلّم. إذاً فالضمير المستتر في (يشري)، والمتصل في (نفسه) يعود على صهيب الذي عُرف من خلال معرفة سبب النزول.

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢٠٧.
[٢] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص ٢١١،٢١٢.
[٣] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٢٦٣.
[٤] السيوطي، جلال الدين، لباب النقول، ص ٤٠.

٢. وقوله تعالى: ((**والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**))[١].

في قوله تعالى: "ولو كان بهم خصاصة"، قيل[٢]: إنّ هذه الآية نزلت في بني النضير حيث قسّم الرسول – صلى الله عليه وسلّم – أموال بني النضير وديارهم على المهاجرين، ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين: أبا دجانة (سماك بن خرشة)، وسهل بن حنيف، والحرث بن الصِمّة. وقال لهم: إن شئتم قسمتهم للمهاجرين من أموالكم وديياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يُقسَم لكم شيء من الغنيمة، فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم بغنيمتهم، فنزلت فيهم هذه الآية.

وقال الطبرسي[٣]: وقيل: نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد، فجيء بما يكفي لأحدهم، فقال واحد منهم: ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم، وماتوا ولم يشرب أحد منهم، فأثنى الله سبحانه عليهم.

وقال السيوطي[٤]: أخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: أتى رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – فقال يا رسول الله: أصابني الجَهْد، فأرسلَ إلى نسائِه، فلم يجد عندهن شيئا. فقال للصحابة: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يُرحْمُهُ الله، فتطوع أحدهم وأطعمه قوت صبيته، بحيث لم يبق شيء لهم، وقال لزوجته: إذا حلّ وقت العشاء فنوّميهم وأطفئي السّراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلتْ، فأنزل الله تعالى قوله: ((**ويُؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**)).

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الحشر، مدنية، آية رقم ٩.**
[٢] **الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٤، ص ٨٤.**
[٣] **الطبرسي، الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٩، ص ٣٣٢.**
[٤] **السيوطي، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، ص ١٩٢.**

أولاً : عود ضمير الغائب على الأقرب

وعنـــدما نتحدث عن الضمائر وأخص بالذكر ضمير الغائب فإننا نتحدث عن أسلوب كلامي متبع ليس في اللغة العربية فقط وإنما في سائر اللغات، لما له من فائدة كبيرة في إيجـــاز الكـــلام دون اللجوء إلى تكرار الأسماء، الذي قد يؤدي إلى فساد العبارة وتفككها. وقد تحدثت سابقاً عـــن ضمير الغائب في حاجة إلى مفسِّر يوضح مرجعه والأصل في هذا المرجع أن يكون واحداً، فإن تعدّد، واقتضى المقام الاقتصار على واحد تعيّن أن يعود إلى الأقرب إليه، بحيث لا يؤثر علـــى المعنى العام، ولا شك أنّ آيات القرآن الكريم تحمل بين ثناياها العديد من الضمائر التـــي تعـــود للأقرب، نذكر طرفاً منها على النحو التالي:

١. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ((**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منـــها رغـــداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**))[١].

ذلك أن ضمير الغائب في (عنها) عاد على أقرب مذكور له وهو (الشجرة)[٢] وهذا هو الظاهر، وتقدير الكلام: أي أصدر الشيطان زلتهما عنها أي بسببها، يعنـــي الشجـــرة[٣]. وقد أعاده البيضاوي إلى الشجرة أو الجنة[٤]، وعوده إلى الجنة غير مقبول لأنه لو سلّمنا بذلك لكان الفعل مضمناً لمعنى الإبعاد بتقدير (أي أبعدهما من الجَنّة) ويؤيد أبو حيان[٥] ما قلناه بعود الضمير للشجرة بمعنى: فحملهما الشيطان على الزلة بسببها أي أصـــدر الشيطان زلتهما عن الشجرة. وقيل: عائد على الجنة لأنها أول مذكـــور ويؤيـــد ذلـــك قراءة حمزة (فأزالهما) وقيل عائد على الطاعة بدليل: ((وعصى آدمُ ربّه))[٦]. ويكـــون إذ ذاك الضمير عائداً على غير مذكور إلاّ على ما يُفْهم من معنى قولـــه: ((ولا تقربـــا))، وقيل على الحالة التي كانوا عليها من الرفاهية والتبوء من الجنة بدليل: ((وكـــلا منـــها رغداً)).

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان ٣٥، ٣٦.
[٢] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد١، ج١، ص ٢٣٥. النسفي، عبد الله، تفسير النسفي، ج١، ص ٤٣.
[٣] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٨٤.
[٤] البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٥٤.
[٥] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٢٦٢.
[٦] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، آية رقم ١٢١.

٢. ومثل ذلك قوله تعالى: ((واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين))[١].
ولقد تعددت آراء النحاة في مسألة عود الضمير (وإنها). من هذه الآراء: عوده على الصلاة. وهذا الرأي أيّده كثير من المفسرين[٢]، ودعم أبو حيان هذا الرأي قائلا: (الضمير عائد على الصلاة، هذا ظاهر الكلام وهو القاعدة في علم العربية: إنّ ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل)[٣]. وأضاف الزمخشري: (الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: "اذكروا نعمتي إلى قوله ... واستعينوا"[٤]. ومنها: عوده على المصدر (الاستعانة) المفهوم من استعينوا، ومنها عوده على (العبادة) التي يتضمنها المعنى، ومنها "عوده على الكعبة"[٥]. والأرجح عود الضمير على الصلاة من نواح عدة أهمها: أنه الأقرب وهو الموضوع الذي نحن بصدده، ومنها: أن الصلاة أهم من الصبر. ومنها: أنّ ذلك من باب ما يسمى بالتغليب.

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٤٥.
[٢] الجمل، سليمان، حاشية الجمل على الجلالين، ج١، ص ٤٩. الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٩٨.
[٣] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٢٩٩.
[٤] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٢٧٨.
[٥] السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، ج١، ص ١٦٤.

عود ضمير الغائب على المفهوم (غير المذكور)

إنّ المتمعّن في القرآن الكريم وما يحويه من آيات معجزة، ليقف موقف المذهل من هذه المعجزة الخالدة التي ما انفك القارىء يُخرجُ منها اللؤلؤة تلو الأخرى، التي تنير الحياة. وإذ نتحدث عن هذه المعجزة حريٌّ بنا أن نسلط الضوء على ضمير الغائب منها، من حيث عوده على غير مذكور، فالقارىء لمثل هذه الآيات سرعان ما يعيد هذا الضمير الغائب العائد على غير مذكور إلى ما عاد إليه دون عناء ومشقة بالرغم من عدم ذكره، وذلك للدلالة عليه من خلال السياق كقوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"[١]. فضمير الغائب في (أنزلناه) يعود على القرآن الكريم المفهوم من سياق الآية. وقد يفهم من خلال علاقته بما سبقه من الآيات، نحو قوله تعالى: ((وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ))[٢]، فالضمير المنصوب في (فاسألوهنّ) لنساء النبي[٣] – صلى الله عليه وسلّم – لأن الحال ناطقة بذكرهن في الآية السابقة والمدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام[٤]. وقد يفهم هذا الضمير من خلال عوده على مذكور بملاحظة معناه نحو قوله تعالى: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتبّع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه"[٥]. فقد عاد الضمير في (عليها) على بيت المقدس[٦] لأنه يحمل معنى المذكور (القبلة). وقد يُفهم الضمير من خلال أسباب النزول[٧]. وسنكتفي في هذا الباب بتوضيح الآيات التي عادت على غير مذكور من خلال السياق ومن خلال علاقتها بالآيات المحيطة به.

---

[١] القرآن الكريم، سورة القدر، مكية، آية رقم ١.
[٢] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مدنية، آية رقم ٥٣.
[٣] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٣، ص ٢٧١.
[٤] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٧، ص ١١٢.
[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٤٣.
[٦] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ١٨٩. البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٩١.
[٧] راجع موضوع وسائل معرفة عود الضمير.

عود ضمير الغائب على المفهوم (غير مذكور) من خلال السياق

نعني بالمفهوم أن يرد الضمير في الآية ويعود على ما سبقها، نحو :

١. قوله تعالى: ((**وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هـؤلاء إنْ كنتم صادقين**))[١].

اختلف المفسّرون في عود الضمير المنصوب في (عرضهم)، هل عرض على الملائكة أسماء الأشخاص؟ أو الأسماء دون الأشخاص؟ فمنهم[٢] مَنْ أعاده على المسميات المقدّرة، ومنهم[٣] مَنْ أعاده على الأشخاص: أي عرض الأشخاص. ويقول أبو حيان[٤]: الظاهر أنّ ضمير النصب في (عرضهم) يعود على المسميات وظاهره أنه للعقلاء، فيكون إذ ذاك المعني بالأسماء أسماء العاقلين أو يكون فيهم غير العقلاء، وغلب العقلاء على غيرهم، والظاهر والأنسب عود الضمير الذي في محل نصب على المسميات لأسباب منها: "لأنّ عرض نفس الأسماء غير واضح"[٥]. ودلّ على ذلك قوله تعالى: "أنبئوني بأسماء هؤلاء" كما أنه أعاد الضمير في (عرضهم) إلى مسمّيات مع عدم تقدم ذكرها لأنه قدّم ما يدل عليها وهو أسماؤها، وقد وردت قراءات في صيغة هذا الضمير[٦]: فقرأ أبيّ (عرضها)، وقرأ عبد الله (عرضهنّ). وقال ابن عطية: "والذي يظهر أنّ الله علّم آدم الأسماء وعرض عليه مع ذلك الأجناس أشخاصاً، ثم عرض تلك الملائكة، وسألهم عن أسماء مسمياتها التي قد تعلّمها آدم، فقال لهم آدم: هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا"[٧].

٢. وقوله تعالى: ((**وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها**))[٨].

يقول الزمخشري[٩]: الضمير في (اضربوه) إمّا أن يرجع إلى النفس، والتذكير لتأويل النفس بالشخص أو الإنسان، وقال الحلبي[١٠]: الضمير يعود على النفس؛ لتأويلها بمعنى

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٣١.
[٢] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٢٧٢. السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج١، ص ٦٣.
[٣] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٢٨٣. الفرّاء، يحيى، معاني القرآن، ج١، ص ٢٦.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٢٣٦.
[٥] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٨٠.
[٦] مكرم، عبد العال، معجم القراءات القرآنية، ج١، ص ٤٢.
[٧] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٨٠.
[٨] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان ٧٢،٧٣.
[٩] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٢٨٩.
[١٠] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج١، ص ٤٣٥.

الشخص والإنسان، وإمّا إلى القتل لما دلّ عليه من قوله: "ما كنتم تكتمون". والظاهر عوده على القتيل، وفُهم ذلك من قرينة قوله: "والله مخرج ما كنتم تكتمون" الواردة في الآية السابقة.

٣. وقوله تعالى: ((**كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتَ إنْ ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين. فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إنّ الله سميعٌ عليم**))[١].

يبدو أن أقوال المفسرين قد تقاربت حول عود الضمير في (بدّله)، فقد أجمعوا على عوده على الإيصاء المفهوم من الوصية، أي: "فمَنْ بدّل الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه سماع تحقق وتثبت"[٢]، وعوده على الإيصاء أولى من عوده على الوصية؛ لأنّ تأنيث الوصية غير حقيقي، وقيل[٣]: الضمير في (بدّله) عائد على الفرض والحكم، والتقدير: فمَن بدّل الأمر المقدّم ذكره، وهذا يحتاج إلى تأويل لا داعي له.

٤. وقوله تعالى: ((**كان الناس أمةً واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم**))[٤].

فضمير الغائب في قوله (وما اختلف فيه) يحتمل أن يعود على الكتاب[٥]، وتقدير الكلام: وما اختلف في الكتاب إلاّ الذين أوتوه، أي: أوتوا الكتاب، وقال الزجاج[٦]: الضمير في (فيه) الثانية يجوز أن يعود على النبي صلى الله عليه وسلّم والتقدير: أي وما اختلف في النبي صلى الله عليه وسلّم إلاّ الذين أوتوه: أي أوتوا علم نبوته، وعلى هذا يكون الكتاب والتوراة، والذين أوتوه اليهود. وقيل[٧]: الضمير في (فيه) عائد على دين الحق، دين الإسلام، وقيل[٨]: على الحق، ويحتمل عوده على المنزّل عليه[٩]، وهو الرسول صلى الله عليه وسلّم والأرجح عوده على دين الإسلام، وفُهم ذلك من سياق الكلام.

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان ١٨٠، ١٨١.
[٢] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٢، ص ١٦٥، ١٦٦.
[٣] المرجع نفسه، ص ١٦٦.
[٤] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢١٣.
[٥] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٢٦٧. أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٢، ص ٢٦٦.
[٦] الزجّاج، إبراهيم، معاني القرآن وإعرابه، ج١،ص ٢٨٤.
[٧] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص ٢١٤. النسفي، عبد الله، تفسير النسفي، ج١، ص ١٠٦.
[٨] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٣٥٥.
[٩] الشوكاني، محمد فتح القدير، ج١، ص ٢٦٧.

عود ضمير الغائب على المفهوم (غير مذكور)

من خلال علاقته بالآيات السابقة واللاحقة.

١. قوله تعالى: ((**قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**))[١].

في عود الضمير الواقع في محل جر في (فيها)، أقوال: فقد قيل[٢]: هو للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة، أو للساعة على معنى قصّرنا في شأنها وفي الإيمان بها. وقال الطبري[٣]: الضمير يرجع إلى الصفقة، ذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيع الإيمان بالكفر، والدنيا بالآخرة، قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا في صفقتنا. وقيل[٤]: الضمير المجرور عائد على الحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر.

وتقدير الكلام: أي على ما فرّطنا في حياتنا، وأعاده الشوكاني[٥]، على الساعة فقط، أي: في الإعداد لها والاحتفال بشأنها والتصديق بها.

والأنسب عوده على غير مذكور ، ونعني بذلك: (الحياة الدنيا)، ذلك لوجود قرينة، هي قوله تعالى: "حتى إذا جاءتهم الساعة"، ولأنهم يندمون على تفريطهم في دار العمل وهي الدنيا.

٢. قوله تعالى: ((**قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين**))[٦].

في عود الضمير الواقع في محل جر في (فاهبط منها) أقوال عدة: منها عوده على السماء[٧]، أي: اهبط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين، فإنّ السماء لا تصلح لمن يتكبر ويعصي أمر ربه مثلك. ولهذا قال: "فما يكون لك أن تتكبر فيها". ومنها: عوده على الجنة[٨]، أي: فاهبط من الجنة. وأورد أبو حيان عدة أقوال[٩]: فقد أعاد الضمير على الأرض فكأنه كان

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٣١.**
[٢] **الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ١٤. البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٢٩٨.**
[٣] **الطبري، محمد، جامع البيان، مجلدة ٥، ج٧، ص ١١٣.**
[٤] **الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد ٣، ج٧، ص ١٣٢.**
[٥] **الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج٢، ص ١٤٠.**
[٦] **القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ١٣.**
[٧] **الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ٦٩. الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج٢، ص ٢٤٤.**
[٨] **البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٣٣٣. الطبري، محمد، جامع البيان، مجلدة ٥، ج٨، ص ٩٨. أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٣، ص ٢١٧.**
[٩] **أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٥، ص ١٩.**

له ملكها أمره أن يهبط منها إلى جزائر التجار فسلطانه فيها، فـــلا يدخـل الأرض إلا كهيئة السارق يخاف منها حين يخرج منها. ومنها: إنه يعود على صورته التـــي كـان منها؛ لأنه افتخر أنه من النار، فشوّهت صورته بالإظلام وزوال إشراقه، ومنها أنه عائد على المدينة التي كان فيها ذكره، ومنها: إنه يعود إلى المنزلة والمرتبة الشريفـــة التـــي كان فيها، وأرى أنّ أنسب هذه الأقوال عوده على الجنة وإن لم يجر لها ذكـــر لدلالـــة المعنى عليها، ولأنّ مرتبة الجنة من أسمى المراتب.

د- عود ضمير الغائب على المحدَّث عنْهُ.

ويقصد بالمحدث عنه: الاسم الذي يكون محور الكلام، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالضمائر التي تليه. ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ هذا المصطلح (المحدث عنه) ليس المقصود به ما يُطلق عليه في النحو المسند إليه، بل هو أصل تتفرع منه الضمائر وتعود إليه كقوله تعالى:

((إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكُمُ بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين...))[١].

فمرجع الضمير في (فيها)، للتوراة وهي المحدّث عنها في الآيات السابقة.

وقد مرّ معنا أنّ ضمير الغائب يعود للأقرب، وقد يعود للمحدّث عنه فيكون عوده للمحدّث عنه أولى من عوده للأقرب لتوافق المعنى وانسجامه.

وقد يصلح الضمير في كثير من الأحيان لعوده على الأقرب وعلى الأبعد (المحدث عنه) دون تغيير في المعنى "فإذا كان أحدهما هو المحدّث عنه والآخر فضله كان عوده على المحدث عنه أرجح ولا يلتفت إلى القرب"[٢].

والآيات القرآنية تحمل بين ثناياها العديد من الأمثلة الموضحة نذكر منها:

١. قوله تعالى: ((ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم))[٣].

---

[١] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، الآيتان ٤٤،٤٥.
[٢] عضيمة، محمد، دراسات لأسلوب القرآن، القسم الثالث، ج١، ص ٢٩.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان ١٢٨،١٢٩.

يقول أبو حيان[١]: الضمير المجرور في (وابعث فيهم) يحتمل أن يعود على الذرية ويحتمل أن يعود على الأمة المسلمة، كما يحتمل عوده على أهل مكة، ودلّ عليه قوله: ((**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**))[٢].

ويقول صاحب الدر المصون[٣]: في هذا الضمير قولان: أحدهما: أنه عائد على معنى الأمة، إذ لو عاد على لفظها لقال (فيها). والثاني: أنه يعود على الذرية بالتأويل المتقدم. وأضاف: وقيل: يعود على أهل مكة. أما الشوكاني[٤] فأرجع الضمير إلى الأمة المسلمة المذكورة، وقال يحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى الذرية[٥]، وقد أجاب الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام. هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولاً منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلّم.

فالضمير المجرور في (فيهم) يعود على المحدّث عنه (الأمة الإسلامية)[٦] وتقدير الكلام: أي أرسل في الأمة المسلمة رسولاً.

٢. وقوله تعالى: ((**الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم**))[٧].

يجوز أن تكون هاء الغائب في (يؤوده)[٨] لله عز وجل. وهذا ما ذهب إليه المفسرون، فقيل[٩] الضمير لله عز وجل لأنه فهم من سياق الكلام وهو غير مصرّح به مع العلم أنه قد صُرِّح به من ابتداء الآية الكريمة. وقال الزجاج: "يجور أن يكون الضمير في قوله (يؤوده) لله سبحانه وتعالى ويجوز أن يكون للكرسي لأنه من أمر الله"[١٠]. وأيده في ذلك الرأي (الشوكاني وأبو حيان وأبو السعود)[١١]، والأرجح أن تكون الضمائر لله عز وجل لأن الضمائر جميعها في نفس الآية تعود على الله سبحانه وتعالى وهو المحدث عنه واستبعد عوده على الكرسي لبعد نسبة الحفظ إلى الكرسي، والله أعلم.

---

[١] **أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٦٢٥.**
[٢] **القرآن الكريم، سورة الجمعة، مدنية، آية رقم ٢.**
[٣] **السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٢، ص ١١٩.**
[٤] **الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ١٨١.**
[٥] **الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد١، ج١، ص ٣٨٦.**
[٦] **الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٣١٢. البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٨٧.**
[٧] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٢٥٥.**
[٨] **ومعنى لا يؤوده: لا يثقله.**
[٩] **السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٢، ص ٥٤٥.**
[١٠] **الزجاج، إبراهيم، معاني القرآن، ج١، ص ٣٣٨.**
[١١] **الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ٣٤١. أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٢، ص ٦١٤. أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص ٢٤٨.**

هـ- عود ضمير الغائب على المصدر

ضمير الغائب من الضمائر التي تحتاج إلى تأمل في عوده على ما قبله لكثرة الاحتمالات الواردة من جهة ولاعتماده على ما يربطه من آيات من جهة أخرى. ومما يعود إليه الضمير، المصدر الذي لا يكون مذكورا بلفظه صراحة بل يتم تأويل الفعل أو الوصف بمصدر لدلالة المعنى عليه. ولابدّ من الوقوف على بعض الآيات القرآنية الموضحة لذلك:

١. قوله تعالى: ((**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين**))[١].

أورد الجوزي في تفسيره[٢] أربعة أقوال لعود الضمير في (فجعلناها): أحدها: عوده على الخطيئة، والثاني على العقوبة والثالث على القرية والرابع على الأمة التي مسخت. وبعضهم[٣] أعاد الضمير على المصدز المفهوم من سياق النص وهو المسخة والعقوبة. قال أبو حيان[٤]: والذي يظهر أنّ الضمير عائدٌ على المصدر المفهوم من (كونوا) أي فجعلنا كينونتهم قردة خاسئين.

٢. وقوله تعالى: ((**بلى إنْ تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين. وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النصرُ إلاّ من عند الله العزيز الحكيم**))[٥].

أجمع المفسرون[٦] على أنّ الهاء في (جعله) عائدة على المصدر وهو الإمداد أو المدد المفهوم من (يمددكم) أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلاّ بشارة لكم بأنكم تنصرون. وبالرغم من أنّ المفسرين جوّزوا عوده على التسويم أو على النصر أو على التنزيل أو على العدد أو على الوعد وغيرها، فإنها احتمالات أقواها عوده على المصدر لأنّ الإمداد في حد ذاته يشملها جميعاً.

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان (٦٥-٦٦).
[٢] الجوزي، جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص ٩٥.
[٣] البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٦٧. النسفي، عبد الله، تفسير النسفي، مجلدة ١، ج١، ص ٥٣.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٣٩٨.
[٥] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتان (١٢٥-١٢٦).
[٦] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٤٦٢. أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٣، ص ٣٣٥. الجوزي، جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص ٤٥٤. الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٣، ص ٣٨٩.

و- عود ضمير الغائب على المضاف

للمضاف حالات يتكيّف عليها بحسب الصيغة التي تضمه، وبحسب المعنى المكتسب من إضافته إلى المضاف إليه، لذلك نجده أحيانا يتأثر بالمضاف إليه تذكيراً وتأنيثاً، فقد قرّر النحاةُ من خلال ما وجدوا في النص العربي أنّ المضاف المؤنث قد يكتسب التذكير من المضاف إليه المذكر، وأنّ المضاف المذكّر قد يكتسب التأنيث من المضاف إليه المؤنث بشرط أن يكون ذلك المضاف صالحاً للحذف، وإقامة المضاف إليه مقامه.

وذلك كقوله تعالى: "إنّ رحمة الله قريب من المحسنين"[١].

فقد اكتسب المضاف (رحمة) التذكير من لفظ الجلالة (الله) فجاء خبره مذكراً وهو (قريب)، ولو أنك قلت: إنّ الله قريب من المحسنين لصحّ ذلك.

من أجل ذلك رأينا أن نخصّ الضمير العائد على المضاف بشيء من الحديث نظراً للأهمية التي تبرز في ذلك العود على النحو التالي:

١. قوله تعالى: ((وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها))[٢].

الضمير المجرور في (فأنقذكم منها) للشفا[٣] والضمير إذا عاد للشفا بصيغة التأنيث فهو من اكتساب المضاف من المضاف إليه للتأنيث. وبعضهم[٤] يعيد الضمير إلى الحفرة. والإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار أيضاً والإنقاذ من الشفا يدخل فيه الإنقاذ من النار والحفرة. "والضمير لا يحسن عوده إلا على الشفا لأنّ كينونتهم على الشفا هو أحد جزئي الاسناد والضمير لا يعود إلا عليه؛ أما ذكر الحفرة فإنما جاءت على سبيل الإضافة"[٥]. وما حمل الزمخشري على إعادة الضمير إلى الشفا إلا لأنه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتنّ عليهم بالإنقاذ منها.

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ٥٦.
[٢] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم ١٠٣.
[٣] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٤٥١.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٣، ص ٢٨٧. الشوكاني، محمد، فتح القدير ج١، ص ٤٦٤. الطبري، محمد، جامع البيان، مجلدة ٤، ص ٢٥.
[٥] السمين الحلبي، أحمد. الدر المصون، ج٣، ص ٣٣٦، عضيمة، محمد، دراسات لأسلوب القرآن، ج١، ص ٣٥.

٢. قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون))[١].

يقول الشوكاني[٢]: الضمير المنصوب في (فاجتنبوه) عائد على الرجس أو إلى المذكور ودلّ عليه قوله: "فاجتنبوا الرجس من الأوثان"[٣]. ويقول أبو حيان: "الضمير في اجتنبوه عائد على الرجس المخبر عنه من الأربعة، فكان الأمر باجتنابه متناولاً لها"[٤]. ويبدو أنّ الضمير الذي في محل نصب يرجع إلى المضاف المحذوف كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما وما أشبه ذلك، ولذلك قال: "رجس من عمل الشيطان" فإن قلت لمَ جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولاً ثم أفردها آخراً؟ كان الجواب "لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر"[٥] مع أنّ أبا حيان رأى[٦] أنه لا حاجة لتقدير هذا المضاف المحذوف حيث إنّ الحكم على هذه الأربعة بأنها رجس أبلغ من تقدير ذلك المضاف لقوله تعالى: "إنما المشركون نجس".

فلو تناولنا هذا الضمير من حيث المعنى لوجدنا أن عوده على المضاف المحذوف أقرب وهذا هو الذي يهمنا من فهمنا للآية الكريمة، بينما لو تناولناهُ من زاوية الأدلة، والآيات الموضحة لكان عوده على الرجس أقرب والله أعلم.

---

[١] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٩٠.
[٢] الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج٢، ص ٩٢.
[٣] القرآن الكريم، سورة الحج، مدنية، آية رقم ٣٠.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٤، ص ٣٥٧.
[٥] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٦٤٢.
[٦] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٤، ص ٣٥٧.

ز – تعدد مرجع ضمير الغائب

القرآن الكريم معجز بكل ما يحويه بين دفتيه، فكل آية لها معنىً خاص بـــها وكـــل كلمـــة لـــها إعجازها الخاص ودلالتها التي تنفرد بها، وعلى هذا فإنّ ضمير الغائب في القرآن الكريم قد تعدّد مرجعه، وهذا ما سنلحظه في الآيات التي تم استقصاؤها على النحو التالي:

١. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ((**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منـــها رغـداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجر فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانـــا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**))[١].
ضمير الغائب في (فيه) يعود على النعيم[٢] الذي سبق الحديث عنه وهذا هـــو الأقـــرب. وقيل[٣] من الجنة أن كان الضمير للشجرة في "عنها" ويؤيد هذا الرأي قـــراءة عبـــد الله "فوسوس لهما الشيطان[٤] فالوسوسة كانت للأكل من الشجرة.

٢. وقوله تعالى: "وآمنوا بما أنزلتُ مصدقاً لِما معكم ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشـــتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون"[٥]. الضمير في (به)[٦] يعود على محمد صلـــى الله عليـــه وسلّم وقيل على القرآن الكريم بدليل "بما أنزلت" وقيل على التوراة ودلّ عليه قوله "لمـــا معكم" وقيل[٧] يعود إلى "لما معكم" لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا بـــه. وأرى أنّ أنسب هذه الآراء عوده على القرآن الكريم لأنه أفصح عنه بالآية اللاحقة في قوله: "ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا".

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٣٥،٣٦.
[٢] البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ٥٤.
[٣] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٢٧٤، الألوسي شهاب الدين، روح المعاني، ج١، ص ٢٣٦.
[٤] قرأ عبد الله بن أبي بدل فأزلهما، فوسوس لهما/ مكرم عبد العال، معجم القراءات، ج١، ص ٤٧.
[٥] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٤١.
[٦] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٣٣٣، أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٢٨٧.
[٧] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج١، ص ٢٧٦.

٣. وقوله تعالى: ((ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل أنـــي قـد جئتكم بآيةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله))[١].

قيل[٢] إنّ الضمير في(فيه)عائد على الكاف أو موصوفها وقيل[٣] في هذا الضمير ستة أوجه:

١) أنه عائد على الكاف لأنها اسم عند من يرى ذلك.

٢) أنه عائد على (هيئة) لأنها في معنى الشيء المهيأ فلذلك أعاد الضمير عليها مذكـــراً وإن كانت مؤنثة اعتباراً بمعناها دون لفظها[٤].

٣) أنه عائد على ذلك المفعول المحذوف أي فانفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير.

٤) أنـــه عائد على ما وقعت الدلالة عليه في اللفظ وهو "إني أخلق" ويكون الخلق بمنزلة المخلوق.

٥) أنه عائد على ما دلت عليه الكاف من معنى المثل[٥].

٦) أنه عائد على الطين، وهذا الوجه مستبعد إلى حدٍ ما لأنه لا يجوز أن تعود الكنايـــة على الطين لأنّ النفخ إنما يكون في طين مخصوص.

والظاهر والأكثر قبولاً عود الضمير في (فأنفخ فيه) على الموصوف وهو (هيئة الطير) بالرغم من تذكير الضمير وكان الأصل أن يقول (فأنفخ فيها) تناسباً مع الموصوف، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا خصّ الله سبحانه وتعالى الفعل نفسه فـــي آيـــة فيـــها مشابهـــة بالتأنيث بقوله: ((وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكـــون طـيراً بـإذني))[٦]

يجيب الخطيب الاسكافي عن ذلك بقوله[٧]: لقد ذكرّ الضمير في سورة آل عمران بقوله: "فانفخ فيه" إنما هو في اخبار الله عز وجل به عن عيسى عليه الســـلام وقولـــه لبنـــي إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم: إني آخذ من الطين ما أصوّر منه صـــورة علـــى هيئة الطير في تركيبه فانفخ فيه فينقلب حيوانا مكتملا كالطائر الحي، والقصد في هـــذا المكان إلى ذكر ما تقوم به حجتهُ عليهم وذا أول ما يصور من الطين على هيئة الطـــير ويكون واحداً يلزم به الحجّـــة، فالتذكير أولى به، أمّا في سورة المائدة فأنثّ الضمير في

---

[١] القرآن الكريم، سورة آل عمران، مدنية، الآيتان ٤٨، ٤٩.

[٢] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٣، ص ١٦٣.

[٣] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٣، ص ١٩٤.

[٤] ونظيره قوله تعالى: "وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه" النساء آية ٨. فأعاد الضمير في (منه) على القسمة لما كانت بمعنى المقسوم.

[٥] لأن المعنى: أخلق من الطين مثل هيئة الطير وتكون الكاف في موضع نصب على إنه صفة للمصدر المراد تقديره: إني أخلق لكم مثل هيئة الطير.

[٦] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ١١٠.

[٧] الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٥٦.

(فيها) لأنها جاءت في ذكر ما عدّد الله من النِعَم على عيسى عليه السلام وما أصحبـــه اياه من المعجزات، مبتدئا بقوله: "إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ ايدتك..."

والإشارة في هذه الآية إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقة مـــن قلب الصور التي يصورها من الطين على هيئة الطير وذلك جمع والتأنيث به أولى.

ح- تطابق الضمائر في عودها

تطابق الضمائر: أن يعود ضمير الغائب في عدة كلمات متتابعة في آية واحدة أو أكثر إلى مرجع واحد. فعندما تتحدث الآية عن شيء معين، نجد الضمائر اللاحقة جميعها تعود إليه لتشكل في ذلك قوة وانسجاماً والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها بشيء من التحليل والمناقشة:

١. قوله تعالى: ((**واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون**))[١].

نلاحظ أن الضميرين في (لايقبل منها، لا يؤخذ منها) يحتملان عودهما على شيئين مختلفين أو على شيء واحد، وحتى تكون الضمائر على نسق واحد، فعودهما على النفس الثانية[٢] أولى، أي لا يقبل من النفس المستشفعة شفاعة شافع، ولا يؤخذ منها عوض عن عملها. ويجوز أن يعود الضمير على النفس الأولى وهي النفس الجازية أي ولا يقبل من النفس التي تجزي عن نفس شفاعة، ولا عدل. والرأي الأول أقوى "لأن قوله ليس لها شفاعة فتقبل معناه: أنّ النفس الكافرة ليس لها شفاعة أصلاً فضلاً عن قبولها"[٣] ويحتمل أنّ النفس المؤمنة ليس لها شفاعة في الكافرة.

أما بخصوص الضمير في (ولا هم ينصرون) فقد جيء به، مجموعاً على معنى نفس لأنها نكرة في سياق نفي[٤]، كقوله تعالى: "فما منكم من أحد عنه حاجزين"[٥]. فقد جمع صفة (أحد) وهي (حاجزين) لوقوعها بعد نفي، وأتى به منكراً لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم (ثلاثة أنفس) وجعل حرف النفي منسحباً على جملة اسمية ليكون الضمير مذكوراً مرتين، فيتأكد ذكر المنفي عنه بالنصر بذكره مرتين"[٦]، كما أنّ النفس من الألفاظ التي تذكّر وتؤنّث.

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٤٨.
[٢] الجمل، سليمان، حاشية الجمل على الجلالين، ج١، ص٥٠. الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ١٠٣.
[٣] الجمل، سليمان، حاشية الجمل على الجلالين، ج١، ص ٥٠.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٣٠٩، ٣١٠. الشوكاني، محمد، فتح القدير، ج١، ص ١٠٣.
[٥] القرآن الكريم، سورة الحاقة، مكية، آية رقم ٤٧.
[٦] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٣١٠.

٢. قوله تعالى: ((إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أنْ اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدوّ لي وعدوّ له))[١].

قيل[٢]: الضمير في (فاقذفيه) عائد على موسى، كذلك الضمائر بعده في قوله: (فليلقه، يأخذه، عدو له) إذ هو المحدّث عنه لا التابوت. إنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة. وقال الزمخشري: "الضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم"[٣]. وقال ابن عطية[٤]: الضمير الأول في (فاقذفيه) عائد على موسى، وفي الثاني عائد على التابوت ويجوز أن يعود على موسى. وأنسب هذه الأقوال قول الزمخشري فرجوع الضمائر لشيء واحد أولى من تفريقها؛ لسلامة النظم وقوته.

---

[١] القرآن الكريم، سورة طه، مكية، الآيتان، ٣٨، ٣٩.
[٢] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٧، ص ٣٣٠.
[٣] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ٥٣٦.
[٤] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٧، ص ٣٣٠.

الفصل الثاني

٢ – أسلوبا الالتفات والتوجيه في ضمير الغائب

أ- الالتفات[١]

"وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للسامع وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[٢].

فالكلام كما نعلم لمتكلم أو مخاطب أو غائب، وتنويع الكلام بهذه الأقسام الثلاثة يعطي حيوية للقارىء، ويجعله ينسجم معها، ويبعد عنه السآمة، فضلاً عن الجوانب البلاغية التي يحدثها هذا التنويع يقول الله تعالى: ((**وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون، كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم...**))[٣]. في الكلام التفات من الغيبة في قوله "وأما الذين كفروا..." إلى الخطاب في قوله : "تكفرون، وكنتم" وفائدته "أنّ الإنكار إذا توجّه إلى المخاطب كان أبلغ وجاء "تكفرون" مضارعاً لا ماضياً لأن المنكر، الدوام على الكفر والمضارع هو المشعر بذلك ولئلا يكون ذلك توبيخاً لمن آمن بعد كفر"[٤].

ويشترط في الإلتفات[٥]: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وأن يكون في كلامين مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه نحو قوله تعالى: "الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين"[٦] فالالتفات جاء في كلامين مستقلين من الغيبة "الرحمن الرحيم" إلى الخطاب في "مالك".

وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد، وإن لم يكن بين جزأي الجملة – كقوله تعالى: ((*والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي*))[٧] ، ونحو قوله تعالى: ((**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا**))[٨]. وقوله تعالى: ((**وامرأة مؤمنة إن وهبتْ نفسها للنبيّ**))[٩]، بعد قوله ((**إنا أحللنا لك**))[١٠]. والتقدير: إن وهبت امرأة نفسها للنبي "إنا أحللنا لك" وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد.

---

[١] ويسميه البعض الاعتراض.
[٢] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣١٤.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيات (٢٦-٢٨).
[٤] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج١، ص ٢٣٨.
[٥] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣٣٢.
[٦] القرآن الكريم، سورة الفاتحة، مكية، الآيتان ٣،٤.
[٧] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، مكية، آية رقم ٢٣.
[٨] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ٥٩.
[٩] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مدنية، آية رقم ٥٠.
[١٠] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مدنية، آية رقم ٥٠.

استعمالات الالتفات

* الاستعمالات العامة:

١- الانتقال من أسلوب لآخر لتنشيط ذهن السامع وإبعاد الملل عنه.

٢- التسهيل للوزن والقافية.

* ومن الاستعمالات الخاصة:

١- تعظيم شأن المخاطب، نحو قوله: ((**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين**))[١]. نلاحظ أنه اختير للحمد الغيبة في قوله (الحمد لله). واختير للعبادة لفظ الخطاب كما في قوله (إياك نعبد)، للإشارة إلى أنّ الحمد له رتبته الخاصة.

والتنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه نحو قوله تعالى: ((**هو الذي يسيركم في البرّ والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان**))[٢]. حيث نقل الكلام من الخطاب في قوله: "كنتم في الفلك"، إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم"[٣] وهو التفات "للمبالغة في تقبيح حالهم"[٤]. فكأنّ الله سبحانه وتعالى أعرض عن خطابهم وحكى لغيرهم سوء صنيعهم. يقول الزركشي: "فائدة ذلك تعجبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمرّ (الخطاب) لفاتت تلك الفائدة"[٥]. وقيل[٦]: إنّ الحكمة من الالتفات هي أن قوله "هو الذي يسيركم في البر والبحر" خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين فكان الخطاب شاملاً، فحسن بذلك خطابهم ليستديم الصالح على الشكر، ولعلّ الطالح يتذكر هذه النعمة؛ فيرجع. "فلما ذُكِرتْ حالةٌ، آلَ الأمر في آخرها إلى أنّ الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير حق، عَدلَ عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي"[٧].

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الفاتحة، مكية، الآيات (٢-٥).**
[٢] **القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ٢٢.**
[٣] **الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج٢، ص ٧٥١.**
[٤] **الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد٤، ج١١، ص ٩٦.**
[٥] **الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣١٨.**
[٦] **أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٦، ص ٣٣.**
[٧] **المرجع نفسه، ص ٣٣.**

أقسام الالتفات

يبدو أن أكثر الأساليب المستخدمة في الالتفات: الالتفات من الخطاب للغيبة، ومن الغائب للمتكلم ومن الغيبة للخطاب.

فالالتفات من الخطاب إلى الغيبة استخدامه واسع لاسيما في القرآن الكريم: "وكان من شأن العرب إذا حكت او مرّت بحكاية خبر يتلو القول أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب"[١].

ومن الأمثلة القرآنية على هذا النوع قوله تعالى: ((**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجرّ منه الأنهار وإنّ منها لما يشقّقُ فيخرج منه الماء وإنّ منها لمّا يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون، أفتطمعون أنْ يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**))[٢]. خرج من الخطاب في قوله: "ثم قست قلوبكم" إلى الغيبة في قوله تعالى "وهم يعلمون"[٣] وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم وجعلهم كالغائبين عنه، لأنّ مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من مخالفات.

وقوله تعالى: ((**إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، وتقطعوا أمرهم بينهم كلّ إلينا راجعون**))[٤]. في هذه الآية التفات[٥] من الخطاب في قوله: "إنّ هذه أمتكم" إلى الغيبة في قوله: "تقطّعوا" ولو تابع الكلام دون التفات لقال: "فتقطعتم" عطفاً على ما قبله "ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب إلى لفظة الغيبة، كأنّ هذا الفعل ما صدر من المخاطب لأنّ في الإخبار عنهم بذلك نعياً عليهم ما أفسدوه وكأنه يخبرُ غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم"[٦] وتقدير الكلام: ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعاً قطعا.

---

[١] الطبري، محمد، جامع البيان، مجلدة ١، ج١، ص ٥٢.
[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيتان، ٧٤،٧٥.
[٣] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج١، ص ٤٣٢.
[٤] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، الآيتان ٩٢،٩٣.
[٥] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣١٩.
[٦] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٧، ص ٤٦٤.

الالتفات من التكلم إلى الغيبة

يقول الله تعالى: ((**قال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون، وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون**))[١]. والتفت من التكلم في قوله: "فإياي فارهبون"، إلى الغيبة في قوله: "وله ما في السموات والأرض"[٢].

وقوله تعالى: ((**ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم**))[٣]. التفت من التكلم في قوله: "ثم بعثناهم نحن" إلى الغيبة في قوله "آمنوا بربهم"[٤] ولو لم يلتفت لقال: "آمنوا بنا".

وقوله تعالى: ((**وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون**))[٥]، في الآية التفات من المتكلم في قوله: "وجعلنا" إلى الغائب في قوله: "من ثمره"[٦]، والمعنى: ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك...

الالتفات من الغائب إلى المتكلم

يقول الله تعالى: ((**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون، وإن كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله**))[٧]، فقد التفت من الغيبة بقوله "خلقكم" هو أي الله سبحانه وتعالى إلى التكلم في قوله تعالى: "ممّا نزّلنا"[٨]، ولو لم يلتفت لقال (مما نزل على عبده) وفائدة هذا الالتفات التفخيم والتعظيم.

---

[١] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ٥٢.
[٢] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٦، ص ٥٤٤.
[٣] القرآن الكريم، سورة الكهف، مكية، الآيات (١٢-١٤).
[٤] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج٧، ص ٤٥٣.
[٥] القرآن الكريم، سورة يس، مكية الآيات ٣٤،٣٥.
[٦] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٩، ص ٦٥.
[٧] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، الآيات (٢١-٢٣).
[٨] السمين الحلبي، أحمد، الدر المصون، ج١، ص ١٩٩.

- وقوله تعالى: ((والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور))[١]، التفت من الغائب في قوله: "أرسل" إلى التكلم: "فسقناه"[٢] وفائدة الالتفات هنا: أنه لما كان سَوْق السحاب إلى البلد الميت إحياءً للأرض بعد موتها بالمطر من الدلائل على القدرة الباهرة والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه ادخل في الاختصاص وأدل عليه.

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

يقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة منْ أيام من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون))[٣].

التفت من الغائب في قوله "فمن تطوّع" إلى المخاطب في قوله: "أن تصوموا" "وذلك جبراً لكلفة الصوم بلذة المخاطبة"[٤].

- قوله تعالى ((ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً أخرين))[٥].

فالتفت من الغيبة في قوله (مكناهم) إلى الخطاب في قوله "ما لم نمكن لكم"[٦] وفائدة هذا الالتفات "التعريض بقلة تمكن هؤلاء ونقصهم عن أحوال من سبق ومع تمكين أولئك في الأرض فقد حل بهم الهلاك"[٧].

---

[١] القرآن الكريم، سورة فاطر، مكية، آية رقم ٩.
[٢] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٩، ص ١٦، ١٧. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣٢٠.
[٣] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٨٤.
[٤] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد١، ج٢، ص ٥٩.
[٥] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٦.
[٦] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص ٣٩١.
[٧] أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ج٤، ص ٤٣٨.

ب- التوجيه[١]

من المواضيع البلاغية الهامة التي لها أثر كبير في تحديد المعنى والتأثير في السامع وتغيير نمط الكلام وإبعاد السأم عنهم موضوع التوجيه.

ولقد تناوله العديد من الكتّاب فمنهم من أطلق عليه لفظ التورية ومنهم مَنْ فرقّ بينهما وجعل لكل منهما استخدامه الخاص.

فالتوجيه: هو ما احتمل معنيين ويؤتي به عند فطنة المخاطب[٢] أمّا التورية: أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ويستعمل المتكلم أحد احتماليهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله[٣].

وبصورة أخرى: أن يذكر لفظ له معنيان: بعيد مراد وقريب غير مراد والفرق بينهما[٤]: أن التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر أما التوجيه فباستعمالهما معا بقرينتين.

ولعل موضوعي التوجيه والتورية أشرف أنواع البديع. والقرآن الكريم والنصوص الشعرية والنثرية حافلة بهما ولاسيما الأسماء المفردة، والذي يعنينا في هذا الموضوع ضمائر الغائب التي يحتمل عودها على معنيين والمراد بها أحدهما نحو:

■ قوله تعالى: ((حرّمنا عليه المراضع من قبلُ فقالوا هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون))[٥].

فقد قيلت هذه الآية حكاية عن أخت موسى عليه السلام فالضمير في (له) يحتمل أن يكون لموسى وأن يكون لفرعون، وجاء في البرهان[٦]: قال ابن جريح: وبهذا تخلّصت أخت موسى من قولهم: (إنك عرَقتِه)، فقالت: أردتُ ناصحون للملك.

---

[١] ومنه الاستخدام.
[٢] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣١٤.
[٣] المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص ٤٢١.
[٤] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٤٤٦.
[٥] القرآن الكريم، سورة القصص، مكية، آية رقم ١٢.
[٦] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣١٤.

واعترض عليه بأن هذا في لغة العرب لا في كلامها المحكي، وهذا مردود فإنّ الحكاية مطابقة لما قالته وإن كانت بلغة أخرى.

وتابع الزركشي قوله: ونظيره جواب ابن الجوزي لمن قال له: من كان أفضل عند النبي صلى الله عليه وسلّم - أبو بكر أم علي؟ فقال من كانت ابنته تحته[١].

■ وقوله تعالى: ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه))[٢].

فأمر الله في هذه الآية يعني: قيام الساعة وبعثه النبي - صلى الله عليه وسلّم - وقد أريد بلفظه الأخير[٣] وأعيد الضمير عليه في (تستعجلوه) مراداً به قيام الساعة والعذاب.

■ وقوله تعالى: ((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين))[٤].

فلفظة الإنسان الواردة في الآية تعني (آدم) عليه السلام حيث خلقه الله تعالى من طين. ثم قال: "ثم جعلناه نطفة" أي بني آدم، فالضمير المنصوب في (جعلناه) عائدة على ولد آدم عليه السلام[٥].

■ وقوله تعالى: ((لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قد سألها قوم من قبلكم))[٦].

فالهاء في (سألها) عائدة على أشياء أخر غير الأشياء الموجودة في الآية؛ لأنّ الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سألوا عنها، فنهوا عن سؤالها[٧].

---

[١] الأشكال في ضمير (ابنته) وضمير (تحته) فإن فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت زوج علي وعائشة بنت الصديق كانت زوج الرسول عليه السلام.
[٢] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ١.
[٣] السيوطي، جلال الدين، البلاغة القرآنية، تحقيق السيد الجميلي، ص ١٣٦.
[٤] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، مكية، آية رقم ١٢،١٣.
[٥] السيوطي، جلال الدين، البلاغة القرآنية، تحقيق السيد الجميلي، ص ١٣٦.
[٦] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، الآيتان ١٠١،١٠٢.
[٧] السيوطي، جلال الدين، البلاغة القرآنية، تحقيق السيد الجميلي، ص ١٣٧.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لتراكيب ضمير الغائب وتشمل:

الموضـــــــــــــــوع الصفحة

أ- التمهيد ٧٢

ب- تقديمه وتأخيره..... ٧٤

ج- ذكره وحذفه:..... ٧٩

د- تذكيره وتأنيثه:..... ٨١

هـ- توكيده والتوكيد به: ٨٤

و- وضع الظاهر موضع المضمر ووضع المضمر موضع الظاهر .. ٨٦

أ. التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصول إلى معرفة المعاني يستدعي النظر في الجملة من حيث أجزاؤها وأحوال هذه الأجزاء وقيودها واقترانها بغيرها وأحوالها من حيث الذّكر والحذف والتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب وغيرها.

وللجملة ركنان أساسيان هما:

أ- المسند، وقد يكون فعلاً في الجملة الفعلية نحو قوله: "جاء الحق وزهق الباطل"[١]. فكل من (جاء)، (زهق) مسند. "أما في الجملة الاسمية فتارةً يكون اسماً وتارةً يكون فعلاً نحو قوله تعالى: "محمد رسول الله"[٢]، المسند هنا رسول وهو (اسم)، ونحو قوله تعالى: "والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير"[٣]، فجاء المسند (يسمع تحاوركما) جملة فعلية.

ب- المسند إليه: كل لفظ يدل على معنى في الكلام خليقٌ بالذكر، لتأدية المعنى المراد به، فلهذا يذكر المسند إليه وجوباً حيث إنّ ذكره هو الأصل، ولا مقتضى للحذف، لعدم وجود قرينة تدل عليه عند حذفه[٤] ويسمىّ المسند والمسند إليه ركنا الجملة الأساسيان وما زاد عليهما غير المضاف إليه وصلة الموصول فهو قيد، والقيود هي: أدوات الشرط، أدوات النفي، وحروف الجر، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز والتوابع.

وقد يؤتى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:[٥]

١- كون الحديث في مقام التكلم كقوله عليه الصلاة والسلام: " أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".[٦]

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الإسراء، مكية، آية رقم ٨١.**
[٢] **القرآن الكريم، سورة الفتح، مدنية، آية رقم ٢٩.**
[٣] **القرآن الكريم، سورة المجادلة، مدنية، آية رقم ١.**
[٤] **الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، ص ١١٧.**
[٥] **الهاشمي، السيد أحمد جواهر البلاغة، ص ١٢٥، ١٢٦، عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٢٢٧.**
[٦] **البخاري، محمد، صحيح البخاري، باب ٥٢، حديث رقم ٢٨٦٤. الشاهد: مجيء المسند إليه ضمير المتكلم (أنا).**

٢- كون الحديث في مقام الخطاب كقول الشاعر:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلومُ[١]

٣- كون الحديث في مقام الغيبة، لأن المسند إليه مذكور أو في حكم المذكور لقرينة تدل عليه، وهو يختلف عما قبله، لأن الغالب الذي تتحدث عنه لا بدّ ان يسبق له ذكر حتى يرتبط كلامنا بعضه ببعض، قال تعالى: ((**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**))[٢]

> ولا بد لضمير الغائب من تقدم ذكره إما لفظاً نحو قوله تعالى: " فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين"[٣].

وإما معنى نحو قوله تعالى: ((**وإنْ قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**))[٤] وإما أن تدل عليه قرينة حال نحو قوله تعالى: ((**فلهنّ ثلثا ما ترك**))[٥]، فالمسند إليه مفهوم من حال الكلام فهو "ضمير مستتر تقديره هو عائد على الميت".

وقد يكون الأمر من الوضوح بحيث يفهم مرجع الضمير دون عُسْر أو عناء نحو قوله تعالى: ((**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**))[٦]، فالضمير هنا وإن لم يتقدم له مرجع، إلا أن النفس لا تجد عسراً في معرفته، بل تجدها تتأثر بهذا الضمير أكثر مما لو وضع مكانه الاسم الظاهر.

وفيه ضمير الشأن وهو ما يدل على غرابة، وتتشوق النفس لتعرف ما بعده، ألا ترى قوله تعالى: ((**قل هو الله أحد**))[٧] كيف تتشوق النفس إلى أن تعرف ما بعد الضمير هو.

---

[١] **الشاهد: مجيء المسند إليه ضمير مخاطب (أنت).**

[٢] **القرآن الكريم، سورة الملك، مكية، آية رقم (٢،١). نلاحظ أنّ الضمير المنفصل (هو) سبق ما يدل عليه.**

[٣] **القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ٨٧. الشاهد: مجيء المسند إليه مضمراً (هو) تقدم ذكره لفظاً (الله عز وجل).**

[٤] **القرآن الكريم، سورة النور، مدنية، آية رقم ٢٨. الشاهد: مجيء المسند إليه مضمراً (هو) دلّ عليه (ارجعوا) أي الرجوع.**

[٥] **القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ١١. الشاهد: المسند إليه في الآية جاء مضمراً (الميت) لم يرد ذكره، دلّ عليه القرنية (ما ترك).**

[٦] **القرآن الكريم، سورة الرحمن، مدنية، آية رقم ٢٧.**

[٧] **القرآن الكريم، سورة، الإخلاص، مكية، آية رقم١.**

ب – تقديم ضمير الغائب وتأخيره

إن سياق القرآن الكريم سياق معجز في مفرداته وترابط آياته، فكل كلمة تستدعي الأخرى لترتبط بها وتشكل بيانا لا يمكن فصله. والتقديم والتأخير يعتبر أداة فعالة لخلق هـــذا الأســلوب المعجز في القرآن الكريم فكل كلمة قدمت أو أخرت فإنما ذلك لأسباب مقصودة.

وقد ذكر النحاة والبلاغيون المتقدمون أسبابا للتقديم والتأخير في اللغة فقد قال سيبويه –وهو يذكر الفعل والمفعول– : " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهو ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم".[١]

ثم جاء الجرجاني فأفاض في البحث في أسباب التقديم والتأخير فقال: " وقد وقع في ظنـــون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أيـــن كـــانت تلـــك العناية؟ وبما كان أهم ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهولوا الخطـــب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم تر ظنـــا أزرى علـــى صاحبه من هذا أو شبهه"[٢].

وتحدث الزركشي في البرهان[٣] بشيء من التفصيل عن أسباب التقديم والتأخير، فمـــن الأســـباب التي ذكرها، وقصد بها الأغراض:

١– أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى نحو قوله تعالى: ((**وقال رجل مؤمن مـــن آل فرعـــون يكتم إيمانه**))[٤]، فإنه لو أخر قوله: ((**من آل فرعون**)) لم يعلم أنه منهم.

٢– أن يكون التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة كقولـــــه تعالـــى: ((**واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**))[٥] بتقديم إياه على تعبدون لمشاكلة رؤوس الآي.

٣– لعظمه والاهتمام به، فالعرب يبدأون بالأهم والأولى. نحو قوله تعالى: ((**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**))[٦] فبدأ بالصلاة لأنها أهم[٧].

---

[١] **سيبوية، عمرو، الكتاب، ج١، ص٣٤.**
[٢] **الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، ص ١٠٨.**
[٣] **الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٣٣.**
[٤] **القرآن الكريم، سورة غافر، مكية، آية رقم ٤٠.**
[٥] **القرآن الكريم، سورة فصلت، مكية، آية رقم ٣٧.**
[٦] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٤٣.**
[٧] **الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٢٣٥.**

٤- الاختصاص " التخصيص"[١] وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل. نحو قوله تعالى: ((إنْ كنتم إياه تعبدون))[٢] أي إن كنتم تخصونه بالعبادة.

ولقد وردت في كتب البلاغة أسبابٌ كثيرة للتقديم والتأخير منها: التبرك[٣] والتعظيم[٤] والغلبة والكثرة[٥]، والاهتمام عند المخاطب والتشريف وغيرها.

والذي يعنينا في بحثنا هذا من موضوع التقديم والتأخير ما يتعلق من ذلك بتقديم ضمير الغائب وتأخيره في القرآن الكريم، ومن الآيات التي حصل فيها تقديم وتأخير لهذا الضمير بشيء من التحليل على النحو الآتي:

قوله تعالى في سورة الأنعام: ((**قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربُكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**))[٦]

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ((**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزُقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً**))[٧]

نلاحظ تقدم ضمير المخاطبين على ضمير الغائب العائد على الأولاد في الآية الأولى. وتقدّم الضمير العائد على الأولاد، وتأخر ضمير المخاطبين في الآية الثانية. وتحليل ذلك – والله أعلم– : قوله: ((نحن نرزقكم وإياهم))، قدم رزقه تعالى للآباء لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم، وكأن السياق يُشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين. أمّا قوله "نحن نرزقهم وإياكم" فقد قصد به كفار العرب الذين كانوا يخشون على أنفسهم الفقر فيما يتوقعونه مستقبلا.[٨]

---

[١] السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص٤٨.
[٢] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ١١٤.
[٣] السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٥.
[٤] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٥١.
[٥] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٢٦٠، السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص٥٥.
[٦] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٥١.
[٧] القرآن الكريم، سورة الإسراء، مكية، آية رقم ٣١.
[٨] الزبير، أحمد ، ملاك التأويل، ج١، ص ٤٧٩

قال الكرماني[١]: إنّ الفقر في الأنعام تعلّق بالآباء فقدم ضمير الآباء على الأبناء، أمّا الفقر في سورة الإسراء فتعلق بالأبناء فقدّم ضمير الأبناء على الآباء. وقيل:[٢] إنّ الخطاب في الأنعام مع قوم فقراء يهُمهم رزقهم أولاً ثم رزق أولادهم ثانيا، فقدّم رزقهم لأنه عندهم أهم، وفي الإسراء الخطاب مع غير فقراء، لكنهم يخشون الفقر في المستقبل، فقد قدّم رزق أولادهم على رزقهم حتى يسرع بإزالة ما يتوهمون من أنهم بإنفاقهم على أبنائهم صائرون إلى الفقر بعد الغنى، ثم مضى يكمل طمأنينتهم فوعدهم بالرزق بعد عدة أبنائهم به، وهذا ما أكدّه فاضل السامرائي حين قال:[٣] إنهم في الأنعام يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم "من إملاق"، فهم محتاجون إلى الرزق العاجل للقيام بتكلفة الأبناء. وأما في الإسراء، فهم يقتلون أبناءهم خشية الفقر في المستقبل لأنهم مفتقرون في الحال.

إذن فالمَتمعِّن في الآيتين المذكورتين حين يقابل لفظتي: " من إملاق"، "خشية إملاق" يلاحظ أن الفقر في الأنعام حاصل وواقع للآباء والأبناء. وفي الإسراء مجرد خوف مستقبلي على فقر الآباء، فناسب في الآية الأولى أن يقدّم رزق الآباء على الأبناء، وهو بمنزلة وعد من الله للآباء برزقهم ورزق أبنائهم، وناسبَ في الآية الثانية تقديم رزق الأبناء على الآباء لطمأنة الآباء برزق هؤلاء الأبناء مستقبلاً.

وقوله تعالى في سورة البقرة: ((**يا أيها الذين آمنوا كُلوا من طيبات ما رزقناكم واشكُروا لِلـه إنْ كنتم إياهُ تعبدون، إنما حرّمَ عليكم الميتةَ والدّمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهِلّ به لغير الله**))[٤]

=وقوله تعالى في سورة المائدة: ((**حُرّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أهِلّ لغير الله به**))[٥].

=وقوله تعالى في سورة الأنعام: ((**قل لا أجدُ في ما أوحي إليّ محرّماً على طاعمٍ يطعَمُهُ إلاّ أنْ يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجسٌ أو فسقاً أهلَّ لغير الله به**))[٦]

---

[١] **الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ٦٩.**
[٢] **المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج٢ ص١٨٣. بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص ١١٦.**
[٣] **السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٢٤٦.**
[٤] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٧٢، ١٧٣.**
[٥] **القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٣.**
[٦] **القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٤٥**

= وقوله تعالى في سورة النحل: ((**فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله إنْ كنتم إياه تعبدون، إنما حرّمَ عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به**))[١] .

هذه أربعُ آيات تردّدت فيها عبارة "وما أهل لغير الله به" في ثلاث منها: (المائدة والأنعام والنحل) جاءت بتقديم "لغير الله" على الضمير المجرور في "به" وفي سورة البقرة، بتقديم "به" على "لغير الله".

قيل[٢] : إنّما قُدِّم فيه "لغير الله" على "به" خطاب لأهل مكة مسارعة لنفي الشرك واتخاذهم الأصنام آلهة لهم، يُذبح ويُنحر باسمها، ويؤكدّ هذا مجيء سورتي الأنعام والنحل مكيتين، كذلك الآية التي وردت في سورة المائدة، فهي مكية أيضاً حيث نزلت في حجة الوداع، وما قُدِّم فيه "به" على "لغير الله"، هو خطاب لأهل المدينة، وهم ليسوا بكافرين ليسارع في نفي الشرك عنهم ودلّ على ذلك خطابه لهم بقوله: ((**يا أيها الذين آمنوا...**)).

قال السامرائي:[٣] في تقديم "لغير الله" على "به" إن المقام في هذه الآيات هو الكلام على المفترين على الله بما كانوا يشرّعون للناس باسم الله بدليل قوله تعالى: ((**وجعلوا لِله مما ذرأ من الحرثِ والأنعام نَصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا....**))[٤] والكلام على التحليل والتحريم ورفض أي جهة تحلل وتحرّم غير الله عز وجل من قول الله تعالى: ((**أحلّتْ لكم بهيمة الأنعام..... إن الله سريع الحساب**))[٥]

أمّا في سورة البقرة فليس المقام كذلك، فلم يذكر أنّ جهة أخرى تقوم بالتحليل والتحريم وإنما الكلام على ما رزق الله عباده من الطيبات فقال تعالى: ((**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً**))[٦] لهذا قدم "به" على "لغير الله".

---

[١] **القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ١١٤.**
[٢] **المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص ١٦٣.**
[٣] **السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٦٩، ٧٠.**
[٤] **القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٣٦.**
[٥] **القرآن الكريم، سورة المائدة، مكية، الآيات من ١-٤.**
[٦] **القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ١٦٨.**

إذن فتقديم "لغير الله" على "به" خطاب لأهل مكة تسريعا في نفي الشرك عنهم واتخـــاذهم الأصنام آلهة يحلفون بها ويذكرونها عند الذبح وغيره، ولأن المقام لم يكن كذلك في تقديـــم "بـــه" على "لغير الله" فقد كان خطابا للمؤمنين، وتناول قضايا التحليل والتحريم، فناسب ذلك التقديم.

ج - ذكر ضمير الغائب وحذفه

إن إيصال أية فكرة أو معلومة معينة للآخرين وتثبيتها في نفوسهم والتأثير بها عليهم لـــهو فن بحد ذاته، ويحتاج إلى مهارة عالية في عرضها لما له من قيمة عظيمة. والذكر والحذف من الموضوعات الهامة التي تسمو به العبارة لما له من أثر بلاغي كبير في نفس القـــارئ. ولعـــب القرآن الكريم دورا عظيما في ذكر الضمير أو حذفه، فذكر الضمير يثبت المعنى، ويوطده فـــي النفس.[١] كما أن في حذفه إيجازا وإثارة للذهن وتحريكه ليدرك ما طوى ذكره وسكت عنه مـــن العبـــارة والاحتراز من العبث[٢]، كما أن في ذكر الضمير أو حذفه ينسجم انســـجاما تامـــا مـــع التناسق الموسيقي للآيات، ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى في سورة الصافات: ((**فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون**))[٣]: ((**وتـــول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون**))[٤] فقد ذكر الضمير في "أبصرهم"، وحذفه مـــن " أبصـــر" قيل:[٥] إن الآية الأولى كانت سبب نزول العذاب بهم يوم بدر وماذا لحق بهم من قتل وأسر مـــن صناديد قريش، فقال "أبصرهم". أما الآية الثانية فقيلت في فتح مكة الذي كـــان فتحـــا لجزيـــرة العرب، فأطلق، فقال: "أبصر". وقيل:[٦] إن حذف الضمير من "أبصر" لذكرها فـــي "أبصرهـــم". ولأن هناك معاني أخر تنضم إلى ذكرهم، فيترك ذكر المفعول ليشرع الفعل إلى تلـــك المعـــاني كلها، ويبين ذلك في الجواب عن فائدة تكرار العامل وهي أن قوله: (فتول عنهم حتى حين) إنما يراد بـــ (الحين) في الدنيا الوقت الذي ينصر فيه المسلمون عليهم، وقولهم: (فتول عنهم حتـــى حين وابصر فسوف يبصرون)، أي بعد أن تنصر عليهم، فيهلكوا في الدنيا توقع ما يحـــل فـــي الآخرة وأبصرهم هناك.

قال الكرماني: [٧] كرر الضمير لأنه لما نزل "وأبصرهم"، قالوا: متى هذا الوعد الذي توعدنا به، فأنزل الله: ((**أفبعذابنا يستعجلون**))[٨] كرر تأكيدا، وحذف الضمير من الثاني مكتفيا بالأول.

---

[١] **بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص ١١٨.**
[٢] **الفكي، مصطفى، وآخر، البلاغة، ص ٢١٩.**
[٣] **القرآن الكريم، سورة الصافات، مكية، الآيتان ١٧٤،١٧٥.**
[٤] **القرآن الكريم، سورة الصافات، مكية، آية رقم ١٧٨.**
[٥] **السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص٨٥.**
[٦] **الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣١١.**
[٧] **الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ١٦٤.**
[٨] **القرآن الكريم، سورة الصافات، مكية، آية رقم ١٧٦.**

ويعلل الزبير[١] حذف الضمير من "أبصر" بأنه للعموم وغير مخصص كما في "أبصرهم" والمراد به أمره عليه السلام، بأن يترقب ما ينزل بهم ويحل بساحتهم من الانتقام وإعلامه صلى الله عليه وسلم بكفايته إياهم، كما قال تعالى: ((إنا كفيناك المستهزئين))[٢]. وأرى أنّ حذف الضمير لسببين: الأول وروده في الآية الأولى، والثاني لأن الضمير في الآية الأولى عاد على الحياة الدنيا، وفي الثانية عاد على الآخرة، وتقدير الكلام: أبصر ما ينالهم فسوف يبصرون ذلك.

٢- وقوله تعالى في سورة النساء: ((فامْسَحُوا بوجوهِكم وأيديكم إنّ الله كان عفوّاً غفوراً))[٣]

⇐وقوله تعالى في سورة المائدة: ((فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون))[٤]

جاء ذكر "منه" في المائدة، زيادةً في البيان، واختصت بذلك لتأخرها في الترتيب الثابت عليه المصحف، والبيان يتأخر عما هو بيان له، فجاء على ما يجب.[٥]

فزيادة "منه" في المائدة لما فيها من تفصيل لأحكام الوضوء بخلاف سورة النساء التي جاءت بها أحكام الوضوء مجملة، فلما زاد في ذكر الأحكام زاد "منه" زيادة في الإيضاح[٦] وإلى هذا ذهب الكرماني[٧] حيث يقول: إنه زاد في آية المائدة "منه" لأنّ المذكور في سورة النساء بعض أحكام الوضوء والتيمم، فحسُنَ ذلك، والمذكور في المائدة جميع أحكامها، فحسُن الإثبات والبيان وأنا أتفق معهما في الرأي، ومن هنا تبرز أهمية ضمير الغائب في بيان الحكم، إذ أحال المجمل إلى مفصل وهو تفصيل يتسم بالإيجاز، والإيجاز في القول الوافي بالغرض بلاغة.

---

[١] الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج٢، ص ٩٦٢.
[٢] القرآن الكريم، سورة الحجر، مكية، آية رقم ٩٥.
[٣] القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ٤٣.
[٤] القرآن الكريم، سورة المائدة، مدنية، آية رقم ٦.
[٥] الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج١، ص ٣٤٤.
[٦] السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ١٠٤.
[٧] الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ٥٢.

د- تذكير ضمير الغائب وتأنيثه

ضميرا الغائب المذكر والمؤنث وإحلال كل منهما مكان الآخر من الموضوعات التي تحتل أهمية بارزة لما تتركه من أثر بالغ في نفس السامع، ومن الآيات الكريمة:

١- قوله تعالى في سورة النحل: ((**والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون، وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين**)).[١]

=وقوله تعالى في سورة المؤمنين: ((**وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**))[٢]، نلاحظ في الآيتين السابقتين ورود الضمير العائد على الأنعام بلفظتين مختلفتين إحداهما بالتذكير "بطونه"، والأخرى بالتأنيث "بطونها"، فقوله "بطونه" بافراد الضمير وتذكيره مراد به الجنس[٣]. وإن من العرب مَنْ يقول: هو الأنعام[٤]. وقيل:[٥] سبب الاختلاف: أن الضمير في "بطونه" يعود إلى البعض وهو الإناث، لان اللبن لا يكون للكل فصار تقدير الآية: وإنّ لكم في بعض الأنعام، ولهذا ذهب مَنْ ذهب إلى أنه رد إلى النَعْم لأنه يؤدي ما تؤديه الأنعام من المعنى، بخلاف قوله "بطونها" فإنه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله: ((**ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**))[٦] فأخبرَ عن النعم التي في أصناف الأنعام إناثها وذكورها، فلم يحتمل أنْ يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك.

قال السامرائي:[٧] إنّ الكلام في سورة "المؤمنون"، "بطونها" عائد على منافع الأنعام من لبن وغيره، فقد قال بعد: (نسقيكم مما في بطونها)، (ولكم فيها منافع كثيرة). وهذه المنافع تعمُّ جميع الأنعام ذكورها وإناثها، صغارها وكبارها، فجاء بضمير القلة وهو ضمير الذكور للأنعام التي يُستَخْلص منها اللبن، وجاء بضمير الكثرة وهو ضمير الإناث لعموم الأنعام.

---

[١] القرآن الكريم، سورة النحل، مكية، آية رقم ٦٥، ٦٦.
[٢] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، مكية، آية رقم ٢١.
[٣] الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج٢، ص ٧٤٨.
[٤] سيبويه، عمرو، الكتاب، ج٢، ص ٢٠.
[٥] الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٢١٨. الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ١١٤.
[٦] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، مكية، آية رقم ٢١.
[٧] السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ١٥٩.

ويبدوا أنّ المفسرين[١] أجمعوا على أنّ قوله "بطونه" راجع على إسقاء اللبن من بطون الأنعام، واللبن كما نعلم لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قسم الإناث، لذلك أفرد الضمير وأنّث الضمير في "بطونها" لسببين: عودها على المنافع التي تشمل ذكور الأنعام وإناثها، ولأنها ناسبت الضمائر السابقة "فيها، منها، عليها". فورد بصورة التأنيث والجمع.

- قوله تعالى في سورة الأنبياء: ((**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين**)).[٢]
- وقوله تعالى في سورة التحريم: ((**ومريم ابنتْ عمران التي أحَصَنتْ فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتُبه وكانت من القانتين**)).[٣]

اختلف عود الضمير في "فنفخنا فيها"، "فنفخنا فيه" مع أن المعنى واحد.

يقول الخطيب الاسكافي :[٤] في الآية الأولى كان المقصود من الآية التعجب من حالة مريم عليها السلام وأنها بالنفخ صارت حاملاً، كذلك ردّ الضمير إلى جملتها إذا كان النفخ في فرجها نفخاً أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفة ترجع إلى جملتها دون بعضها.

وأما قوله في الآية الثانية لم يكن القصد فيه إلى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها لا عن ضراب الفحل، لم يكن ثم من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليه قبلها، فجاء اللفظ على أصله.

ويقول الكرماني[٥] : السبب في قوله "فنفخنا فيها" أنّ المقصود في هذه السورة ذكرها وما آل إليه أمرها حتى يظهر فيها ابنها وصارت هي وابنها آية، وذلك لا يكون إلاّ بالنفخ في حملها وتحملها والاستمرار على ذلك إلى ولادتها ، فلهذا اختصّت بالتأنيث. أمّا في قوله: "فنفخنا فيه" فهو مقصور على ذِكر إحصانها وتصديقها بكلمات ربها.

---

[١] **الخطيب الاسكافي، فاضل السامرائي، وغيرهما.**
[٢] **القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، آية رقم ٩١.**
[٣] **القرآن الكريم، سورة التحريم، مدنية، آية رقم ١٢.**
[٤] **الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٢٤١.**
[٥] **الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ١٣١.**

يقول الزبير:[١] في قوله : "فنفخنا فيه" راجع إلى مريم ابنة عمران، وأعيد الضمير هنا من حيث إنّ ذلك تخصيص وتكريم لمريم وتشريف لابنها بالذكر كما جاء في قوله تعالى: ((*وجعلناها وابنها آية*))[٢]، وفي قوله: "فنفخنا فيها" لم يذكر ابنها، فلما اتسع المقصود بذكر مَنْ لم يذكر، وقُصد من التشريف ما هو أكثر ناسبه التوسع في عود الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها.

---

[١] الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج٢، ص ٨٤٦.
[٢] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، آية رقم ٩١

هـ- توكيد ضمير الغائب، والتوكيد به

التوكيد من أهم الوسائل المستخدمة في إيصال أمر معين للآخرين وإقراره في قلوبهم اقراراً ينتهي إلى الإيمان به. والقرآن الكريم خير من استخدم هذا الأسلوب، لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح جزءاً من عقيدتهم. وقد روعي التوكيد في جميع مواطنه، فهو يوكد في موطن ما مراعياً موطناً آخر قرب أو بَعُد فتدرك أنّه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكدّ لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له.

ولقد تفنّن القرآن في استخدام أساليب التوكيد الكثيرة المتعددة الاستخدام كأن تكون بزيادة الحروف: الواو، واللام، والهاء أو بزيادة كلمة أو أكثر، وفي هذا البحث سنسلّط الضوء على الآيات التي جرى فيها التوكيد من خلال ضمير الغائب:

١- قوله في سورة الأعراف: ((**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**))[١]

⇐وقوله تعالى في سورة فصلت: ((**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم**)).[٢]

ذكر سبحانه وتعالى ضمير الشأن "هو" في الآية الثانية، وحذفه من الأولى، وذلك أنّ إثباته لإثبات أنّ الله عز وجل الأكثر سمعاً وعلماً، فذلك زيادة في التأكيد. أمّا الآية الأولى: ((**إنه سميع عليم**))، فلم تحتج إلى هذا التأكيد، وسبب ذلك[٣]: أنّ الموضع الذي لم يحتج إلى تأكيد كان في وصف الآلهة المنحوتة من الحجارة والخشب والتي وصفها الله تعالى أنها لا تخلق شيئاً ولا تسمع ولا ترى في قوله: ((**وإنّ تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**))[٤]، وهذا لا يحتاج إلى تأكيد، فالسمع والنطق ميزتان للأحياء دون الجمادات، وفي سورة فصلت، كان الحديث عن عالم الإنس والجن الموصوفين بالسمع والبصر، ومِمَن يُنسب إليه عِلم، فلما تقدّم في

---

[١] **القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ٢٠٠.**
[٢] **القرآن الكريم، سورة فصلت، مكية، آية رقم ٣٦.**
[٣] **الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج١، ص ٥٧٨، ٥٧٩.**
[٤] **القرآن الكريم، سورة الأعراف، مكية، آية رقم ١٩٨.**

السورة الثانية مَنْ يظن منه الغنى، ويمكن منه أن يسمع ويبصر ويعلم، أكدّ ذلك بضمير الفعل المقتضي التخصيص.

٢- وقوله تعالى في سورة البقرة: ((والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)) [١].

⇐وقوله تعالى في سورة لقمان: ((الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون))، [٢] فقد قال في البقرة : ((بالآخرة هم يوقنون))، وفي لقمان أيضاً : ((وهم بالآخرة هم يوقنون)). فأكدّ الضمير الأول "هم" بالضمير الثاني، فلما أكّد الإيمان باليوم الآخر في البدء. قال في خاتمتها: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده)) [٣] فحذرهم من اليوم الآخر. [٤]، وقيل إن ضمير الفصل "هم" يفيد الحصر كما يفيد التوكيد [٥]، ففي قوله تعالى: ((وبالآخرة هم يوقنون))، أي لا يؤمن بالآخرة إلاّ هم. كذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: ((أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرون)) [٦]، ومعنى ذلك لا يُنشَر إلاّ هم، وإن المنكر عليهم ما يلزمهم حصر الألوهية فيهم. [٧]

---

[١] القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية، آية رقم ٤.
[٢] القرآن الكريم، سورة لقمان، مكية، آية رقم ٤.
[٣] القرآن الكريم، سورة لقمان، مكية، آية رقم ٣٣.
[٤] السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٢٢١.
[٥] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٤١٣.
[٦] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، مكية، آية رقم ٢١.
[٧] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٤١٣.

و- وضع الظاهر موضع المضمر ووضع المضمر موضع الظاهر.

مما لا شك فيه أنّ للضمائر قيمة عظيمة جداً من خلال استعمالاتها المتعددة في الكَلِم، لا سيما حلولها مكان الأسماء الظاهرة، فهي بذلك توفر عناء الكتابة والقراءة على الكاتب والقارئ من خلال الاختصار والإيجاز في التعبير، فضلاً عن الأثر البلاغي الذي تتركه هذه الضمائر في النفس، وهذا هو الأصل في الكلام، ففي قوله تعالى: ((إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)).[١]

نلاحظ أنّ ضمير الغائب في "لهم" قام مقام عشرين اسماً ظاهراً في الآية السابقة.

" ولكنه لأغراض بلاغية قد يستدعي الأمر الاستغناء عن الضمير وإعادة الاسم الظاهر وهذا ما سمّاه البلاغيون بالتكرار، وعرّفوه بأنه: "دلالة اللفظ على المعنى مردّداً لتأكيد غرض من أغراض الكلام أو المبالغة فيه، ويشمل ذلك: المدح والهجاء، والتعظيم والوعيد والتهويل، وما أشبه ذلك من الأغراض البلاغية"[٢] والمضمر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظاً أو رتبة، أو لفظاً ورتبة، ولا يكون قبل الظاهر لفظاً ورتبة إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة وباب نعم وبئس والضمير المتصل في ربّ وغيرها[٣]، ومن الآيات الموضحة لوضع الظاهر مكان المضمر:

- قوله تعالى في سورة يس: ((واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)).[٤]
- وقوله تعالى في سورة مريم: ((واتخذوا من دون الله آلهة))[٥]
- وقوله تعالى في سورة سبأ: ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله)).[٦]
- وقوله تعالى في سورة الفرقان: ((واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون)).[٧]

---

[١] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مدنية، آية رقم ٣٥.
[٢] جبر، محمد، الضمائر في اللغة العربية، ص ١٠٤.
[٣] سبق الحديث عنه في باب عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة.
[٤] القرآن الكريم، سورة يس، مكية، آية رقم ٧٤.
[٥] القرآن الكريم، سورة مريم، مكية، آية رقم ٨١.
[٦] القرآن الكريم، سورة سبأ، مكية، آية رقم ٢٢.
[٧] القرآن الكريم، سورة الفرقان، مكية، آية رقم ٣.

من الملاحظ ورود لفظ الجلالة مظهراً في الآيات الثلاث الأولى، ومضمراً في سورة الفرقان. فإذا نظرنا إلى الآيات السابقة لكل منها نجد أنّ ذكر لفظ الجلالة ذُكر تعظيماً لعدم التصريح به سابقاً كما في سورة الفرقان وقيل[١]: جاء موافقاً لما قبله من الآيات من حيث لفظ الجمع ولو جاء "من دونه"، لخالف ما قبله لأن ما قبله بلفظ الجمع تعظيماً فصرّح.

ويقول الخطيب الإسكافي:[٢] إنّ اخبار الله تعالى عن نفسه مصرّحاً لا كإخبار المتكلم بلفظ التاء والنون، بل كما يخبر المخبر عن غيره، فقال تعالى في سورة الفرقان: ((**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرا**))[٣]. كان ذكرُ الله تعالى قد تقدّم في الآيتين فأجرى ذكره في الثالثة على مقتضى كلام العرب في الاضمار بعد الذكر، ولم يكن الأمر كذلك في سورة يس ومريم وسبأ، يقول الزبير[٤]: إنّ آية الفرقان تقدم قبلها اسمه سبحانه مكنياً عنه ثماني مرات في آيتي الفرقان الأولى والثانية[٥]، وهذه المكنيات هي: الاسم الموصول "الذي"، فاعل نزل المضمر، الضمير في عبده، والموصول الثاني، والضمير المجرور باللام، والضمير الفاعل في "ولم يتخذ ولداً"، والضمير في "له" والضمير الفاعل في "خلقَ". وبناء على ذلك لو ورد اسم الله مظهراً بعد هذا كله لم يكن مناسباً.

قوله تعالى في سورة غافر: ((**الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون**))[٦].

٢- وقوله تعالى في سورة يونس: ((**وما ظنّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**)).[٧]

فقد أظهر لفظة "الناس" في الآية الأولى، وجاء بها مضمراً في الآية الثانية في قوله "أكثرهم"، ذلك أننا نعلم أنّ إظهار الشيء لتعظيم الأمر، واضماره لقرب ذكره، وقد يكون غير

---

[١] الكرماني، محمود، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص١٣٩.
[٢] الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣٠٨.
[٣] القرآن الكريم، سورة الفرقان، مكية، الآيتان ١،٢.
[٤] الزبير، أحمد، ملاك التأويل، ج٢، ص ٨٨٨.
[٥] تقدم ذكرها.
[٦] القرآن الكريم، سورة غافر، مكية، آية رقم ٦١.
[٧] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ٦٠.

ذلك، وفي هذا الشأن أظهر ذكر الناس كما أظهر في الآيتين السابقتين لها للمشاكلة والملاءمة في سورة غافر، وليس كذلك الأمر في سورة يونس عليه السلام، لأنّ الكلام هناك بُني على الاضمار في الآية المتقدمة[١]، فقد قال تعالى مخبراً عمّا يُدخل من الظالمين النار: ((ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا ما كنتم تكسبون))[٢] . وبعد هذا الكلام استؤنف الحديث عن القوم الذين بعث الله رسوله عليه السلام إليهم، كما في قوله تعالى: ((ويستنبئونك أحقّ هو قل إي وربي إنه لحقّ وما أنتم بمعجزين))[٣] فأضمر ذكره في قوله تعالى: ((ويستنبئونك أحق)).

من أحكام الضمير أنه يجري مجرى اسم الإشارة في كثير من الآيات القرآنية نحو قوله: ((وكذلك زُيّنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون))[٤]

فالضمير في قوله "ما فعلوه" يجري مجرى اسم الإشارة[٥] "هذا" والتقدير ما فعلوا هذا.

ومن الآيات الموضحة لذلك :

١- قوله تعالى: ((قُلْ أرأيتم إنّ أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَن إله غيرُ الله يأتيكم به، انظر كيف نصرّفُ الآيات ثم هم يَصْدفون))[٦] ضمير الغائب في "به" جرى مجرى اسم الإشارة "ذاك"[٧] والتقدير "يأتيكم بذاك".

٢- قوله تعالى: ((له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا، ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال))[٨] (الضمير في "له معقبات" راجع إلى مَنْ تقدّم ممنّ أسرّ بالقول وجهر به)..[٩] في قوله: ((سواءٌ منكم من أسرّ القول ومن جَهَر به ومن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار))[١٠] باعتبار تأويله بالمذكور وإجرائه مجرى اسم الإشارة والتقدير: "لهذا معقبات".

---

[١] الخطيب الاسكافي، محمد، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣٢١.
[٢] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ٥٢.
[٣] القرآن الكريم، سورة يونس، مكية، آية رقم ٥٣.
[٤] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ١٣٧.
[٥] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ٥٤.
[٦] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٤٦.
[٧] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ١٩.
[٨] القرآن الكريم، سورة الرعد، مدنية، آية رقم ١١.
[٩] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، مجلد ٥، ج ١٣، ص ١١١.
[١٠] القرآن الكريم، سورة الرعد، مدنية، آية رقم ١٠.

٣- ونحو قوله تعالى: ((**وقال الذين نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون**))[١] فالضمير في "تأويله" جرى مجرى اسم الإشارة، والمشار إليه هو ما رآه الملك.

٤- قوله تعالى: ((**ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيّب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حُوباً كبيرا**)).[٢] الضمير في "وإنّه" عائد على الأكل لقربه، ويجوز أن يعود على التبديل، أو عليهما.[٣]

ونلاحظ أنّ ضمير الغائب حينما يستعمل استعمال اسم الإشارة نجد أنّ المرجع غالباً ما يكون متعدداً، نرى ذلك في الآية الثانية من سورة النساء ((**ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب**))، ونرى في قوله تعالى: ((**قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَنْ إله غير الله يأتيكم به**))[٤] فهنا ثلاثة مراجع، هي: أخذ السمع، أخذ البصر، والختم على القلوب، وقد أعاد عليها ضمير المفرد المذكر. قال الزمخشري: (أي يأتيكم بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة)[٥].

---

[١] القرآن الكريم، سورة يوسف، مكية، آية رقم ٤٥.
[٢] القرآن الكريم، سورة النساء، مدنية، آية رقم ٣.
[٣] أبو حيان، محمد البحر المحيط، ج٣، ص ١٦١.
[٤] القرآن الكريم، سورة الأنعام، مكية، آية رقم ٤٦.
[٥] الزمخشري، محمود ، الكشاف، ج٢، ص ١٩.

المصـــــــادر والمراجـــــــــــع

القرآن الكريم

١- الألوسي شهاب الدين السيد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.

٢- الأنباري عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧.

٣- أنيس ابراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، د.ت.

٤- باشا أحمد بن سليمان، أسرار النحو، تحقيق: أحمد حسن حامد، منشورات دار الفكر، عمان د.ت.

٥- البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٦- بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٠.

٧- البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد، تفسير البيضاوي المسمىّ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٨- جبر محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، الطبعى الاولى، ١٩٨٣م.

٩- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الاعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٠- الجمل سليمان، حاشية الجمل على الجلالين المسمى بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، المكتبة الاسلامية، د.ت.

١١- ابن جني عثمان:
أ- اللمع في العربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الأولي ، ١٩٨٨م.
ب- سر صناعة الاعراب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٢- الجوزيّ جمال الدين عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.

١٣- حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة، د.ت.

١٤- الحموز عبد الفتاح أحمد، الحَمْل على الجوار في القرآن الكريم، مكتبة الراشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٥- حوّى سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٦- أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م.

١٧- خاروف محمد فهد، الميسّر في القراءات الأربعة عشرة، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٨- ابن خالويه الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

١٩- الخطفي جرير، ديوان جرير، دار صارد للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٠م.

٢٠- الخطيب الإسكافي محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، مطبعة محمد مطر الوراق، مصر، الطبعة الأولى ١٩٠٩.

٢١- الرمّاني علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، مكتبة الطالبي، مكة، الطبعة الثانية،١٩٨٦م,

٢٢- الزّاوي الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

٢٣- الزّبير أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢٤- الزجّاج ابراهيم بن السّري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٢٥- الزركشي بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دار احياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

٢٦- الزمخشري محمود محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة، بيروت، د.ت.

٢٧- السامرائي ابراهيم، النحو العربي، نقد وبناء، دار الصادق، بيروت د.ت.

٢٨- السامرائي فاضل، التعبير القرآني، جامعة بغداد، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

٢٩- أبو السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود المسمىّ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

٣٠- السلسبيلي محمد بن عبيد، شفاء الغليل في ايضاح التسهيل، تحقيق: الشريف عبد الله البركاتي، المكتبة الفيصلية، مكة، د.ت.

٣١- السمين الحلبي أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣٢- سيبويه عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٣٣- السيّد عبد الحميد، في النحو العربي" قواعد وتدريبات"، وحدات التركيب اللغوي ونظام الجملة الاسمية، دار القلم للنشر، دبي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٤- السيوطي جلال الدين:

أ- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥.

ب- البلاغة القرآنية المختارة من الإتقان ومعترك الأقران تحقيق السيد الجميلي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٩٣م.

جـ- الدرّ المنثور في تفسير المأثور، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

د- الفرائد الجديدة، تحقيق: عبد الكريم المدرّس، وزارة الأوقاف، العراق، د.ت.

هـ- لُباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

و- المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تحقيق: نبهان ياسين، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٧م.

ز- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، وعبد العال مكرّم، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٥م.

٣٥- ابن شقير أحمد بن الحسن، "المحلّى وجوه النصب"، تحقيق: فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ١٩٨٧م.

٣٦- الشنقيطي أحمد بن الأمين، الدّرر اللوامع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال مكرّم، دار البحوث العلمية، الكويت الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٣٧- الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣٨- صبرَة محمد حسنين، مرجع الضمير في القرآن الكريم، دار الهانئ للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٩- الطَبَرسي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤٠- الطَّبَري محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل، بيروت، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤١- عباس فضل، البلاغة وفنونها وأفنانها، دار الفرقان، اربد الطبعة الأولى، ١٩٨٥، الطبعة الثالثة ١٩٩٢.

٤٢- عُضيمة محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

٤٣- عمايرة اسماعيل أحمد، معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.

٤٤- عمايرة خليل أحمد، آراء في الضمير العائد، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤٥- عيد محمد، النحو المصفىّ، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٤٦- ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤٧- الفرّاء يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار، دار السرور، بيروت، د.ت، مطبعة دار الكتب القاهرة، ١٩٥٥.

٤٨- الفكّي مصطفى محمد، البلاغة، مرحلة الدراسات الشرعية العامة، معهد القضاء الشرعي، عُمان، ١٤٥١ هـ.

٤٩- القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

٥٠- القطّان منّاع، مباحث في علوم القرآن، الدار السعودية للنشر، د.ت.

٥١- الكرمانيّ محمود بن حمزة، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٢- المبرّد محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عُضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٥٣- المطعني عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٥٤- مكرم عبد العال سالم:
أ- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، د.ت.
ب- معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٥٥- ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥م.

٥٦- النحّاس أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٥٧- النَّسفي عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت.

٥٨- النعيمي حسام سعيد، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، دار الرشيد للنشر، القراق، ١٩٨٠،.

٥٩- هارون عبد السلام، معجم الشواهد العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٠- الهاشمي السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، منشورات دار إحياء التراث، لبنان، الطبعة الثانية عشرة، د. ت.

٦١- ابن هشام جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٦٢- ابن يعيش موفّق الدين يعيش، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت د.ت.

الشواهد الشعرية

	البيـــــــــــــــت	قائلـــــه	الصفحة
١-	وَكائنٍ بالأباطحِ مِنْ صَديقٍ يَراني لَوْ أُصِبْتُ هُـــوَ المُصَابـــــــاَ	جرير	١٨
٢-	إذا متُ كان الناسُ صنفان شامتُ وآخر مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ	العجير السلولي	٢٥
٣-	وما هُوَ مَنْ يأسُو الكُلُوم ويتّقي به نائبات الدهر كالدائم البخل	من شواهد الدماميني	٢٤
٤-	وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشْمَتَّ بي من كان فيك يلومُ	أمامة	٧٦

Abstract

This thesis was submitted to the Department of the Arabic Language at Al-Al- Bait University for the fulfillment of the Master degree.

This research handles the third person in the Holy Quran, and its effects in determining the meaning and its importance in modern linguistics studies, throughout studying the form structure, indication and content. Since it has its own indicators and covert dimensions.

This style was frequently used in the Holy Quran whether it refers to the infinitive of the verb or adjective, the nearest, the concept, multiplied references and so on, therefore I found it interesting to study this subject in the Language of the Holy Quran, through which grasp the meaning rhetorically and the structure to be aware to its elegance.

I talked in this study exemplified the third person in the Holy Quran from the following aspects:

syntactical, analytical, stylistically, aspects distributed throughout the main three chapters.

In the first chapter I talked about the third person in the Holy Quran showing its concept, advantages, conditions and formulas. Also I explained the pronoun of disconnection, concern conjunction, further I talked about the sound (ha'- Al- Gha'ib) and its phonological analysis and connected or disconnected, appeared or crypt and analytic position.

In the second chapter I talked about the reference of the third person in the Holy Quran, throughout the indicative clues and reasons of

descending. Also I handle the methods of pointing and guiding of the third person in the Holy Quran and their role in determining the meaning and method of speech.

In the third chapter I exemplified the idea of preceding and proceeding, mentioned or deleted, feminine or masculine, emphasized or emphasized by and illustrated or hidden and the contrary.

In this study I followed the approach of analysis and comparison, referring to a large amount of Arabic Language and syntax books, dictionaries, explanatory references, whether it was old or updated ones. Further to determine or clarify the related issues of the third person in the Holy Quran, I sometimes go toward giving my own point of view, prodding one upon another.

Finally, I end up this study by conclusion in which the most important results were found, hoping that I reach the useful information to whom it may be concern.

The Researcher